الفصل الثاني

توجيه الأعتقاد ودور الصحافة

يشتمل هذا الفصل على الموضوعات الرئيسة التالية :

١ ــ الإعلام المعاصر وأثره في تدعيم الاتجاه القائم وفي التغيير بوجه عام .

٢ ــ منهج الإسلام في التغيير .

٣ ــ الفطرة وعلاقتها بالعقيدة .

٤ ــ الصحافة ووظيفة تثبيت العقيدة .

٥ ــ أصول العقيدة الإسلامية .

٦ ــ كيف ينشأ المجتمع المسلم ؟ وما منهج هذه النشأة؟ .

٧ ــ رابطة العقيدة وأثرها في توجيه الفرد والمجتمع .

٨ ــ الثقافة الإسلامية وأهمية الترويج لها ونشرها .

٩ ــ دور الصحافة في التغيير الاجتماعي .

لعله من المفيد – وقبل الكلام عن العقيدة ودور الصحافة بوجه خاص – أن نمهِّد لأثر الإعلام المعاصر في التدعيم والتغيير والاستجابة للاتجاهات القائمة بوجه عام، وكذلك منهج الإسلام في التغيير .

١ ــ الإعلام المعاصر وأثره في تدعيم الاتجاه القائم وفي التغيير بوجه عام :

إن الإعلام المعاصر بواقعه الراهن، وبمختلف وسائله وتقنياته المتطورة وآفاقه البعيدة المتشعبة يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن ينكمش شعب من الشعوب أو أمة من الأمم وتنطوي على ذاتها أو تتقوقع داخل حدودها دون أن تتأثر بالأمم الأخرى أو بالعالم من حولها أو تتفاعل مع الأمم المحيطة بها والبعيدة عنها بكل قيمها وعاداتها وأخلاقياتها .

إن وسائل الإعلام عامة والصحافة بخاصة، شرعت تتنافس بل تتصارع لبث برامجها ونشر مبادئها وأفكارها، محاولة استقطاب جميع شعوب العالم لها لتكسبها، لقد بدأنا نلمس مختلف وسائل الأغراء والترغيب والتشويق لهذه البرامج وتلك الأفكار حتى ظهرت وكأنها حرب خفية بل هي حرب إعلامية حقيقية بين الأمم استخدمت فيها جميع القدرات والطاقات، وتوفرت لها جميع الأمكانات حتى وصل الأمر الى عدم الاهتمام إن كان ماينشر أو يبث من موضوعات أو أخبار وبرامج يحمل مفهوماً أخلاقياً كريماً أو ماينشر من أهداف ومبادىء ينصاع لعالم القيم الحسنة والخيرة طالما أنه يخدم عقيدة معينة أو يدعم نظاماً أو يؤيد حاكماً .

أهم التغيّرات التي تحدثها وسائل الإعلام :

أ – تدعيم الاتجاه القائم :

إن حملات وسائل الإعلام الجماهيري يحتمل بشكل عام أن

تدعم الآراء القائمة بين الجمهور أكثر مما يحتمل أن تغير تلك الأراء، وحدوث التغيير البسيط في الاتجاهات يبدو أكبر من احتمال حدوث التحول في الرأي .

وهذا ماتشير اليه الأبحاث الموصوفة بالعلمية والمتعلقة بتأثير حملات وسائل الإعلام الجماهيري، ولكن ليس معنى هذا التحول الكلي لايحدث، أو أن وسائل الاتصال لا تعمل في بعض الأحوال على نشر التغيير على نطاق واسع، بل يمكن القول إن فاعلية الاتصال في التأثير على الآراء الموجودة والاتجاهات ترتبط أو تتماشى عكسياً مع درجة التغيير المطلوبة... وقد أمكن إثبات هذا في دراستين أجريتا على تأثير الحملات التي سبقت إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية، ظهر منها أن التعرض خلال شهور من الدعاية تدعم النوايا الأصلية التي كانت موجودة قبل الحملة بالنسبة لـ (٥٣٪) وتحول (٢٦٪) من الولاء لحزب معين إلى موقف عدم التقرير، أو من عدم التقرير إلى تأييد حزب معين آخر، وتحول فعلا (٥٪) من حزب الى أخر بالنسبة للعينة الأولى .

أما في الدراسة الثانية فقد ظهر بالنسبة للعينة أن التدعيم والتعديل أو التغيير البسيط يتكرر بنفس النسبة التي ظهرت في الدراسة السابقة [١]

يفهم مما تقدم أن قدرة وتأثير وسائل الإعلام تكون أكثر ضمانا في العمل على تدعيم الاتجاه السائد وتقل في العمل على التغيير،

---

(١) أنظر. د جيهان رشتي. الأسس العلمية لنظريات الإعلام. طبعة ١٩٧٥م . ص ٥٤٧.

ولكن هذا ليس في كل الأحوال، فالاسلام حول الأراء والاتجاهات، في حين فشلت الجاهلية في تدعيم الاتجاه القائم... ثم أن هناك مؤثرات وعوامل وسيطة تساعد في عملية هذا التدعيم [1] وهي :

١ ــ استعدادات الأفراد السابقة .

٢ ــ الجماعات التي ينتمون إليها .

٣ ــ نقل مضمون وسائل الإعلام عن طريق الاتصال المباشر .

٤ ــ ممارسة قيادة الرأي .

٥ ــ طبيعة وسائل الإعلام التجارية في المجتمع الأمريكي . [2]

ب ــ مقدرة وسائل الإعلام على زيادة معلومات الأفراد عن مختلف الموضوعات. فالمعروف أن الأفراد يخصصون في المتوسط لوسائل الإعلام ما لايقل عن ست ساعات يومياً، وقد أصبحت وسائل الإعلام في المجتمعات الغربية الوسيلة الأساسية للترفيه وقضاء وقت الفراغ .

وبصرف النظر عن التأثير المحتمل لوسائل الإعلام يحرم الناس من قضاء وقت أطول بعضهم مع البعض الآخر، ويأخذ من الوقت الذي كان يحتمل أن يخصصوه للثقافة العليا[3] .

---

(١) أنظر . د. عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام. الطبعة الأولى الرياض . ص ٢١٩.

(٢) لأن الدراسة المشار إليها أجريت على مدى تأثير الحملات التي سبقت إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية .

(٣) المصدر السابق. الاعلام في ضوء الاسلام. نفس الصفحة.

جـ ــ مقدرة وسائل الإعلام على إنشاء أراء عن الموضوعات الجديدة .

قال جوزيف جوبلز «وزير الدعاية في المانيا النازية. إن من يقول الكلمة الأولى للعالم على حق دائما، معبراً عن قدرة وسائل الاتصال، ويشارك عدد كبير من الباحثين «جوبلز» حول فاعلية وسائل الإعلام من خلق اتجاهات .

وقد اقترح «روز» استخدام الأفلام التي تحث على التسامح العنصري مع الأطفال الذين لم يفكروا بعد في الموضوع، مؤكداً فعاليتها، ويوافقه «هرتز» في تأكيده أن الدعاية هي أساساً سلاح هجومي وليست سلاحاً دفاعياً، فهي تستطيع أن تنشر رأياً بسهولة أكبر من قدرتها على تحويل الرأي .

كذلك افترض «هوفلاند» أنه قد يكون للصحف تأثير كبير على الرأي العام إذا تناولت موضوعات أهميتها بسيطة أو عاونت المرشحين المحليين، لخلو الأذهان بشأنهما.

أما التأثير بالنسبة لمرشحي الرئاسة فيكون أقل، لأن لدى الجماهير معلومات سابقة عنهم . وهذا يعني قدرة وسائل الإعلام على تكوين آراء جديدة حول الموضوعات الجديدة وخلال أوقات الثورات وعدم الأستقرار أو الخلود إلى الهدوء والسكينة .

د ــ العمل على تغيير الاتجاهات :

إن تغيير الاتجاهات يعني «حدوث تغيير في الاستعدادات»

وهذا التغيير يطرأ إما على تنظيم أو بناء المعتقدات، أو التغيير على مضمون معتقد أو أكثر يدخل في تنظيم الاتجاه .

وإذا أقررنا بأقلية شيوع أثر الإعلام في تحويل الرأي، وإن التدعيم والتغيير الطفيف هو الشائع، فهذا لايعني أن التحول لايحدث .

على سبيل المثال : فحوالي ثلاثة أرباع (٧١٪) من الجمهور الذي شاهد فيلم Naples is a Battfefield غيروا الرأي الذي كانوا يعتنقونه قبل مشاهدته من أن الولايات المتحدة لايجوز أن ترسل طعاماً إلى ايطاليا .

كما أن دراسة «كاتر ولزرزفيلد» التي أجريت على عينة مكونة من «٨٠٠» سيدة قد أظهرت نجاح وسائل الإعلام في إحداث تحول في الأراء حيث ظهر أن (٦١٩) من تلكن السيدات غيرن الآراء التي كن يعتنقنها عن الشؤون العامة، بعد تعرضهن للرسائل الإعلامية، مما يثبت لنا أن وسائل الإعلام تنجح في التحويل في بعض الأحوال .

وهناك عوامل وسيطة تلعب دوراً في معاونة وسائل الإعلام على التغيير، وهي باختصار :

١ ــ العمليات الانتقائية، أي انتقاء الرسائل الإعلامية المناسبة لاحداث التغيير .

٢ ــ تأثير الجماعات الأساسية التي ينتمي اليها الفرد، ابتداءً من الأسرة إلى الحزب .

٣ ــ قيادة الرأي والتأثير الشخصي .

أظهرت الأبحاث أن قيادة الرأي والتأثير الشخصي لهما دور هام جداً في عملية اتخاذ القرارات وتغيير الاتجاهات والسلوك .

فالأفراد الذين غيروا نواياهم الانتخابية في منطقة «ايري» بولاية «أوهايو» الأمريكية سنة/١٩٤٠ أشاروا باستمرار إلى أن التأثير الشخصي كان عنصراً أساسياً في تحولهم، وإن درجة فاعلية التأثير الشخصي تختلف عن تأثير وسائل الإعلام المختلفة .

فقد وجد «كاتز ولزرزفيلد» عام ١٩٥٥م أن التأثير الشخصي أكثر فاعلية من الصحف بنسبة خمس مرات ونصف، حينما يسعى للتأثير على اختبار الأفراد للأفلام السينمائية التي سيشاهدونها .

وعلى ضوء ذلك يمكن القول : إنه حينما يتوافر التأثير الشخصي يصبح أكثر فاعلية من وسائل الإعلام، ولكن من ناحية أخرى قد لا يتوافر التأثير الشخصي دائماً، ولهذا لايمكن أن نعتبره ضرورياً لنجاح التأثير .[1]

لقد بات ذلك الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام عموما والصحافة على وجه التحديد واضحاً في قوة التأثير والتغيير في المعتقدات والاتجاهات والسلوك، ومقدرتها الفائقة في تدعيم الاتجاهات القائمة والسيطرة على الجماهير وكسب تأييدها نحو أي اتجاه وهدف . فلا يستطيع احد انكار ذلك الدور أو التشكيك فيه.

«والمؤلف» يتفق مع مايقوله الدكتور عمارة نجيب في كتابة «الإعلام في ضوء الإسلام»[2] فيما يختص بالعامل الوسيط الثالث

---

(١) أنظر جيهان رشتي. المصدر السابق. ص ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٩ .
(٢) الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ الرياض – ص ٢٢١ .

«قيادة الرأي والتأثير الشخصي» وهو المعاون لوسائل الإعلام في التغيير .

وهذا مايعني بالنسبة للمسلمين إمكانية وجود نفس النتائج أو مايقرب منها في حالة بعدهم عن منهج الإسلام، واستمرار تحكيمهم للأساليب والمناهج والقوانين الوضعية .

أما في حالة تحكيم الإسلام منهجاً وقانوناً وإدارة وتربية.. الخ ، فإن الحصانة التي يكتسبها المسلم من اسلامه تجعل تدعيم المبادىء والآراء من خلال الإعلام أكثر تأثيراً، كما تجعل امكانية إنشاء آراء جديدة عن موضوعات جديدة خاضعاً لموافقتها أو مخالفتها للإسلام، كما يجعل احتمال التحول عن مبادىء الإسلام يكاد يكون مستحيلاً طالما بقى كل مسلم يجد معلوماته ومراجعه الاسلامية، خاصة في وسائل الاتصال الشخصي وهو يشعر مع ذلك بأنه – وكذلك كل مسلم – وسيلة اتصال متحركة لاسلطان على حركتها الا الله وحده .

وعليه يستطيع الإسلام بمنهجه في الدعوة والإعلام أن يحّول الآراء والاتجاهات الموجودة والمخالفة للاسلام بنفس قوته وقدرته على تحصين اتباعه وتدعيم مبادئهم وآرائهم، وهو ما ييسر عمل الصحافة الاسلامية ويساعدها في دورها وهدفها اذا التزمت بالاسلام فكراً وسلوكاً إدارة ومبادىء .

الانسان وهدف الاعلام :

لقد أشرت في بداية الكلام إلى الواقع الراهن للاعلام بوجه عام، وهذا الواقع لايستطيع أن ينكره إلا مكابر ولاينفيه إلا منافق

أو مضلل، ومع هذا الواقع ومافي داخله من صراعات أرى أنه لابديل لتطويع وسائل هذا الاعلام المعاصر بصفة عامة والصحافة بخاصة – باعتبارها أهم وأبرز وسائل الإعلام في التأثير والتغيير – أقول لابد من التطويع ورسم مايمكن أن تنشره من أفكار وتبثه من برامج لصالح عقيدتنا ومبادئنا وألاَّ نقف منها موقف اللامبالاة أو موقف المتخاذلين المتشائمين .

إن الواقع الراهن لهذا الاعلام، ومارافقه من تقدم كبير في مجالات التقنية «التكنولوجيا» وطرق الاتصال يشكل تحدياً لإمكاناتنا ولمقدراتنا كمسلمين، مما يحتم علينا الاستفادة منه وتسخيرة أو توجيهه لخدمة قيمنا وقضايانا العادلة.

لابدَّ من الصدق : ومن أجل تحقيق ماتقدم آنفا، لابد من توفير شرط مبدئيّ وأساسي ألا وهو الصدق والالتزام ... أن نكون صادقين مع أنفسنا ملتزمين بأخلاقياتنا، معتزين بشخصيتنا مبتعدين عن المهاترات والترهات، لأنها ليس من قيمنا ولاتستحق أن نسخر لها الجهود والطاقات ولو لدقيقة واحدة.

ما هدف الاعلام ؟

قدّم لنا الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الاعلام في ضوء الاسلام» موضوعاً قيماً في هذا الصدد ونظراً لأهميته رأيت من المناسب هنا ايراد النص التالي منه :

تقول مقدمة الموضوع: ''لم يعد هناك أدنى ريب في أن

الانسان هو هدف العمليات الانمائية بكل صورها وأشكالها واتجاهاتها ومذاهبها باعتباره - أي الانسان - الأداة الأساسية للتغيير على أى شكل يكون هذا التغيير.

وهو معنى قول الله تعالى ﴿ إن الله لا يغيّر مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾[1]

حتى الذين نظروا الى الحياة نظرة مادية واعتبروا العنصر البشرى مجرد تكوين مادى، لم يستطيعوا أن ينكروا أن الانسان هو الصنعة ذات العائد الكبير . وأن تنمية وتثمير هذه الصناعة تنمية وتثمير للأنتاج .

ويستطرد الدكتور عمارة في هذا الصدد فيقول : وعليه نستطيع أن نقرر أن تغيير الانسان هو الوظيفة الأساسية لكل العمليات والدعوات والانقلابات والثورات الانسانية حقيقة أو ادعاء، وإن الانسان هو أداة التغيير الأولى والأساسية، وهو الذي يجب أن يتغير أولا. بمعنى أنه يجب أن يتغير مابنفسه، لأن تغيّر جلده وعظمه ولحمه لا دخل له في شيء من عمليات التغيير، كما هو معلوم وبدهي، وهذا مايعنيه كل داع الى التغيير، فعندما يتحدث قادة الدول وأصحاب الأقلام فيها عن معنى التقدم والتخلف ويوضحون مايجب بذله من جهود، فجوهر حديثهم ومستنده هو الانسان دائماً بهذا المعنى[2]

---

(١) سورة الرعد - الآية / ١١

(٢) د. عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام. الطبعة الأولى الرياض، ص ٢٢١ - ٢٢٢

وعليه فعندما يتغير الانسان من واقعه الحالى – واقع المادة التي سيطرت عليه والمدنية البراقة التي جعلته اسيرا لشهواتها ونزواتها – عندما يتغير الانسان ليعود الى فطرته ويفهم معنى استخلافه في أرض الله، سيتغيّر وجه العالم الى الأفضل، وستكون النتائج بفضل الله الى الأحسن ... وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[1]

٢ – منهج الاسلام في التغيير :

لقد قرر الاسلام أن الكائن البشرى قد خلق متميزاً عن سائر الكائنات بفطرته الباحثه عن الحقيقة. وتربيته تربية صالحة مستقيمة يتطلب تهيئة السبيل لهذه الفطرة، كى يجد اجابة مقنعه وحلاً مرضياً لكل سؤال يواجهه ولكل مشكلة تقع.

ووفقاً لما تجده هذه الفطره من اجابات على تساؤلاتها، وللطريقة التي تقدم بها الاجابة، فطبيعة الانسان قابلة للتغير والتبدل.

ولعل هذا ما يعنية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[2]

---

(١) سورة الأعراف. الآية / ٩٦

(٢) رواه مسلم. الجزء ١٦ كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ. بيروت ص ٣٠٧ – والترمذي كتاب القدر باب كل مولود يولد على الملة.

وبما أن النظم والقوانين العامة قد أقرت وأعتبرت مكانة الأبوين في أغلب القضايا والأمور، وأصبح المجتمع كالطفل، وأصبح القانون أو النظام كالأبوين. أضحى النظام مسؤولاً عن كثير من عمليات التغيير.

طرق التغيير :

إن هذا التغيير يتم بطريقين.

الأول : طريق الأقناع العقلي والأرضاء الوجداني.

والثاني : طريق الأكراه والضغط والتزييف والتضليل.

يقول الله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين قد تبيين الرشد من الغي ﴾[1] وهذا هو طريق الفطرة البشرية الموافق لها، المتفق مع مدارك الانسان الواضح المعالم، لايكره عقلاً ولا يضطهد أو يضغط على فكر. ولايكلف نفساً إلا وسعها، إنه طريق الاسلام ومنهجه.

أما الطريق الثاني، أى طريق التهويد والتنصير والتمجس والالحاد، طريق الاكراه والاضطهاد والتضليل، والمغير لطبيعة الانسان وتكوينه، والمغاير أيضا لمقومات الفطرة البشرية، التي ميّز الله بها الانسان عن جميع الكائنات.

وهكذا يتبين الفرق بين المنهجين أو الطريقين، طريق الاسلام المستقيم، طريق بناء الانسان وتكوينه وفق ماينا سب ويلائم فطرته، وطريق الضلال والالحاد، طريق الاكراه بالضغط والتحكم، المغاير للفطرة ، طريق الغرائز الحيوانية والرغبات الأنانية وغيرها.

---

(١) سورة البقرة – الآية / ٢٥٦

بهذا فإن منهج الاسلام في الغيير ينطلق منذ اسلوب الاقناع بالاجابة عن كل سؤال يطرحه العقل البشرى، في كل مراحل حياته، منذ طفولته حتى مماته، سواء اتصل هذا السؤال بعلاقة الانسان بنفسه أو اتصل بهذه النفس ومايدور حولها من الكائنات والناس، كما تتضح أيضا قدرة وسائل الاعلام المختلفة – لا سيما الصحافة – على التأثير والتغيير، وفق ماتقتضية مصلحة ديننا وتتطلبه شريعتنا الغراء[1]

وهنا يحضرني قول الحق تبارك وتعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[2]

وقوله سبحانه ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[3]

وهكذا يكون الاسلام بدعوته وحكمته، لا أكراه ولاضغط، ولاتزمت ولا استهواء .. ﴿ ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾[4]

الكيفية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابة :

لقد بين الاسلام، باعتباره رسالة عامة وشاملة ومضموناً اعلامياً رائعاً يشمل القوانين الادارية والسياسية والمعاملات

(١) أنظر المرجع السابق – الاعلام في ضوء الاسلام ص ٢٢٧
(٢) سورة النحل – الآية / ١٢٥
(٣) سورة آل عمران – الآية / ١٥٩
(٤) سورة فصلت – الآية / ٣٤

والعلاقات العامة، ويضم بياناً مفصلاعن طبيعة النفس البشرية وجوانبها العاطفية والمنطقية والغرزيه، وبين الكيفية الناجحة لتحقيق التأثير والاستجابه، وذلك بالاصطلاح على أساليب محددة لتقديم تلك الرسالة ومضمونها، مجملها:

«الحكمة والموعظة الحسنة والمجادله بالتي هى أحسن، وإطارها منهج الاسلام الذي يخاطب الفطرة والعقل، أو يعمل على فتح الطريق الى مخاطبتهما، إن كان الطريق اليهما مسدوداً ... فالجهاد من الحكمة لفتح الطريق الى العقل، إذا سدّت الطرق الأخرى، ويكون الترغيب والترهيب، ويكون الانذار والتبشير الى غير ذلك مما تتطلبه الحكمة».

الزمن في صالح الدعوة الاسلامية :

ولطالما بقيت الفطرة البشرية تبحث عن الحق والحقيقة، ولطالما بقي العلم التجربي الذي أغتر به العقل الانساني حيناً من الدهر، عاجزاً ومؤكداً عجزه دوماً عن الاجابة على ما يصدر عن الجانب المعنوى في الانسان من الاسئلة والمشكلات البشرية، وعن علاقة هذا الجانب بالطبيعة وما ورائها.

فلا مفر من التسليم بضرورة الاجابة، ولا يستطيع أحد أن ينكر بعد هذا بأن الاجابة هذه عند الاسلام وحده، لأنه الدين ولأنه الشريعة الخالصة والموائمة لفطرة الانسان، ولأن شريعة الاسلام ورسالتها صادرة عن وحي الخالق العليم الخبير، وهذه الرسالة وحدها

هى الحق واليقين، أما غيرها فلا منهج لها غير الاكراه والتضليل والخداع، والزمن ضد هذا المنهج الباطل تماما، فلا بد من عودة ذلك المنهج الموافق لفطرة الانسان، حتى يعود عز ومجد الدعوة الاسلامية.[1]

وصحوة اليوم خير دليلاً على هذا، وأعظم بشيراً على أن الزمن حقاً، في صالح الدعوة الاسلامية، ولم تكن هذه الصحوة في بلاد المسلمين فحسب، بل وحتى في ديار الكفر وداخل معاقلهم ... ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾[2]

وبعد :

فها هى الصحافة، كانت دائما بالنسبة للعقول المغلقة سلاحاً خطيراً، الى حد أن الذين يمسكون بزمام السلطة يجدون الوسائل التي يسيطرون بها على هذه العقول، وذلك لقوة هذه الوسائل في الاقناع، وبالنسبة للعقول المتفتحة فأنها كانت دائما وسيلة لاثارة الاهتمام والمشاعر بين الجماهير بهدف احداث التغير اللازم فيها.

٣ - الفطرة وعلاقتها بالعقيدة :

عندما يبدأ الطفل حياة التمييز، يجد دافعاً فطرياً يشده الى البحث والسؤال، وكثيراً مايقوم الولدان بطرح أسئلة عن الكون

---

(١) انظر المرجع السابق صـ ١٦٥ ، ١٨٥

(٢) سورة الروم - الآية / ٣٠

والحياة وصانعها، حتى اذا ما أدرك الطفل سن الرشد وجد نفسه التي بين جوانحه تسائله من هو؟ ولماذا وجد؟ ومن الذي أوجده؟ والى أين ينتهي؟ وما هي طبيعة هذه النهاية؟

لقد انفردت الدعوة الاسلامية بالتعادل الذي وضعته بين الفرد والجماعة، فلم تجعل أحدهما مستعبداً للأخر، أو في موضع الضد منه ... وكذلك التوازن الذي أقامته بين القيم المادية والقيم الروحية للأهداف الانسانية، فلم تضح بأحداهما على حساب الأخرى ... وأيضا ما انفردت به تلك الدعوة بالتوافق الذي حققته بين العقيدة والمعرفة الانسانية وبإعلانها ... أن للانسان رسالة عظيمة، هى عبادة الله وحده، قدّرها عليه منذ خلقه. وألزمه بتأهيل نفسه لأدائها وحمَّله مسئوليته الخالدة عن حياته، وعما وضعه تحت تصرفه واشرافه من أجلها.

والعقائد التي كانت سائدة قبل ظهور الاسلام تجعل من ''الخطيئة'' علّة لوجود الانسان على الأرض، وتوارث الأجيال تلك الخطيئة، لكن الدعوة الاسلامية حينما جاءت ردّت للأنسانية كرامتها، وأطلقتها من عقالها، وأعلنت أن ظهور الانسان على الأرض لم يكن حدثاً عرضياً ولا عقاباً أبدياً عن خطئه الأول، وكشف أن الحكمة من خلق الانسان بقدراته العقلية الكامنة والمطلقة خلال أجياله إنما هى اكتسابه العلوم الانسانية والكونية من أجل معرفة الله وعبادته وحده، باعتبار هذا بعض رسالته التي حملها منذ اللحظة الأولى التي خلق فيها، وارتبط بها مصيرة ومسئوليته، وذلك قبل أن يرتكب خطأه الأول.

إيجابية إنسان الاسلام وعقله :

وهذا الانسان الذي هو من صنع الاسلام، ماهو إلا فرد ايجابي يرتبط بمجتمعه لاينفصل عنه بأنانيته أو ذاته، يهدف الاسلام الى ترقيته وتقدمه، استجابة لسنة التطور.

وإيجابية الانسان هذا، حين لا يعزل نفسه عن واقع الحياة والإنخراط فيها، لاتعرف الانغلاق ولا الانطلاق وفق الهوى، وأيضا لاتعرف الموقف الجامد الذي يدل عن الصلف والغباء أو الموقف الضعيف الذي يتهرب من تحمل المسؤولية.

وفوق هذا فإن الانسان المسلم يؤمن بأن كل مجريات الحوادث إنما هى تسير بقوانين الهية تعمل عملها دائما.

كما أن من أهداف الاسلام الحرص في تعاليمه على عمل النوع البشرى وتطوير جهده وامكاناته، وإن الوسيلة التي لابديل عنها لتحقيق مايصبو اليه البشر من تقدم في ظل خير وسلام حقيقين، إنما هى في العقل الايماني، ذلك العقل الذي يرفض الانغلاق أو الغلو، إنه العقل القلبي الذي يملأ الوجدان، ولا يعرف الاسلام للانسان عقلا هادياً سواه ... وهذا مصداقاً لقوله تعالى ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾[1]

وإنسان الاسلام الذي يملك هذا العقل المفكر في ملكوت

---

(١) سورة الحج - الآية / ٤٦

السموات والأرض، الذي يرهف السمع حين يقف هذا الانسان يتلقى بقلبه من السماء، يسمع آيات رب الأرض والسماء ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾[1].

فيهتز كل وجوده وتنفعل أعماقه، وتمتلىء نفسه بمثل ذلك التوجيه «لو تعلمون» يدرك أن امكانية علم مواقع النجوم قيمة مدعو إليها الانسان المسلم قبل غيره، ليكون منطلق البحث العلمي عن هذا المجهول الذي سيسلمه إلى أبعاد وأبعاد، يصبح بعدها انسان الحياة العلمية المؤمنة، هو انسان الاسلام الذي يتميز بعقيدة الاسلام ويعرف بها.[2]

الاجابة عن أسئلة الفطرة :

كانت رحمة الله بخلقه فيما جاء به الوحي والرسالات يجيب على هذا الجانب، ويؤيد اجابته بالأدلة التي يطيقها البشر، وتستوعبها قدرتهم الادراكية ووسائلهم المادية، فكانت خوارق العادات الحسية، فيما يبلغون فيه أوج الرقي والتقدم، ثم كانت المعجزة العقلية العلمية الخالدة في القرآن الكريم الذي حفظه الله من التغيير والتحريف، وضمَّنه حلولاً واجابات مقنعة لكل العقول في كل زمان ومكان، فتقوم به الحجة على كل من بلغه ماجاء فيه، إن استجاب للحق وأطمأن به رضى الله عنه وأدخله جناته، وأطمأنت نفسه، واستقرت

---

(١) سورة الواقعة – الآيتان / ٧٥، ٧٦

(٢) أنظر. صابر طعيمة. الاسلام وعالمنا المعاصر صـ ٧٣ وما بعدها

فطرته، وإن رفض الحق الواضح البين حق عليه عذاب الله. وشقيت نفسه، وقلقت فطرته.[1]

ومما يجدر ذكره هنا أن الاسلام حدد للانسان العلاقة التي تنظم له موقفه من الكون ومن الحياة، وذلك منطلقاً من عقيدته القائمة على التوحيد الذي جاء به الاسلام وفق كتاب الله، وهي العقيدة التي لا تبدأ من المنطلق الذي يقول بحلول الله في الكون أو الانسان، كما تقر ذلك نظرية (الوجود) التي تقضي بأن الله والعالم والانسان شيىء واحد، أو كما تقر هذه العلاقة نظرية وحدة (المصدر) التي تقضي بوجود حقيقة واحدة، ولاتهتم بالوجود الشخصي أو الجزئي.

وإنما علاقة الله بخلقه تقوم من خلال عبودية الانسان لاله الخالق، وهي علاقة كما يقررها الاسلام علاقة مخلوق بخالق متنزه، بيده كل شيء وقادر على كل شيء.

وهكذا تتجلى العلاقة بين العقيدة في الاسلام والفطرة في وجدان الانسان، وهى العلاقة المتميزة بعبودية المخلوق لخالقه، وهذا هو البعد الحقيقي للانسان المسلم.

ومسؤولية وسائل الاعلام – سيما الصحافة منها – تتمحور في أن تقوم بالاجابة على هذه الاسئلة وكأنها مطروحة عليها بالفعل، تكشف وتبين وتذيع المضمون الاسلامي من خلال المنهج المتكامل

(١) د. عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام. ص ١٤٢

المقنع، بحيث يتحقق به للانسان الفرد والمجتمع أقصى درجات التوازن بين التساؤلات والاجابات، وبين المشكلات والحلول وبين التصورات والواقع، في كل ما يتصل بمسألة السلوك والفكر، والعلاقة بينهما وبين الكون المادي ومايحمله.[1]

فلا بدَّ من توجيه الانسان، وبيان كل الحقائق واذاعتها ونشرها بمختلف السبل والأساليب.

٤ - الصحافة ووظيفة تثبيت العقيدة:

إن الانسان حينما يعود الى نفسه بالتأمل والتدبر، يشعر بوجدان باطني يرتبط كل الارتباط بكيانه، ويعد مقوماً ضرورياً لطبيعته، ذلك هو ميله الشديد الى الاعتقاد في شيء أى شيء - وادراكه لضرورة التصديق ببعض القضايا والمسلمات التي لايستطيع عنها فكاكا، وليس في استطاعته أن ينفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة في نفسه. وعندما يعتقد الانسان بشيء - سواء كان هذا الشيء فكرة ذهنية أو موجوداً خارجياً أو شعوراً وجدانياً وحقيقة قلبية - عندئذ يحس هذا الانسان بشعور مؤكد، وهو أنه يملك من حرية الارادة ما يجعله مختاراً في قبول هذا المعتقد أو رفضه ... وذلك بمقدار ماينكشف له من معانيه، وما ينطبع في ذهنه من آثار، وما يكون له في وجدانه من انفعال، ثم مايقوم له في قلبه من قداسة واعتبار.

وإذا كان الفيلسوف العربي المسلم (أبو الوليد بن رشد) يؤمن

---

(١) المصدر السابق صـ ١٤١

بحقيقة وهي: «أن الكون لا يخلو من إنسان وأن الانسانية لاتخلو من فيلسوف» فإن هذه الحقيقة إنما تمدنا بحقيقة أخرى ناتجه عنها ومتممة لها، بها تكمل للانسان انسانيته وتتحقق طبيعته وهي : «أن الانسان لا يخلو من عقيدة»

ويراد بالعقيدة هنا، أنه لابد للانسان من شيء يعرفه أو يؤمن به، مهما بعدت به تلك المعرفة أو ذلك الايمان عن الحقيقة وعن الواقع، ولايراد بها قالب معين لفكرة معينة ... وكل مايهمنا هنا تلمس مصدر هذه العقيدة والبحث عن منشئها في نفس الانسان ومدخلها الى قلبه ووجدانه[1]

جاء في شرح الطحاوية في العقيدة السلفية :

إن علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد الى هذا العلم فوق كل حاجة، وضرورتهم اليه فوق كل ضرورة.

إذ لاحياة للقلوب. ولانعيم ولا طمأنينة الا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه دون غيره من سائر خلقه.

ويصعب على العقول أن تستقل بمعرفة ذلك وادراكه على التفصيل، فأقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين واليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين ولمن خالفهم منذرين.

وجعل مفتاح دعوتهم وخلاصة رسالتهم معرفة المعبود بالوهيته

---

(١) أنظر. محمد بيصار. العقيدة والاخلاق. الطبعة الرابعة ــ ١٩٧٣م. بيروت ص ١٦.

وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها الى آخرها.

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :

أولهما : تعريف الطريق الموصل اليه، وهو شريعته المتضمنه لأمره ونهيه.

والثاني : تعريف السالكين مالهم بعد الوصول اليه من النعيم المقيم، لأن أعَّرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصل اليه. وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه. فسمى الله على ما أنزل على رسوله روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه ... فقال تعالى : ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[1]

وقال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض آلا الى الله تصير الأمور﴾[2]

ولا روح الا فيما جاء به الرسول. ولانور الا في الاستضاءة به، وهو الشفاء كما قال تعالى ﴿قل هو للذين أمنوا هدى وشفاء.﴾[3]

والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فلا هدى الافيما جاء

---

(١) سورة غافر الآية / ١٥.

(٢) سورة الشورى الآيتان ٥٢،٥٣

(٣) سورة فصلت، الآية / ٤٤

به، فكل انسان يجب أن يؤمن بما جاء به الرسول ايماناً عاماً مجملاً، ولاريب أن معرفة ماجاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فذلك يكون ضمن تبليغ ما بعث الله به رسوله. وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادله بالتي هي أحسن، فهذا واجب على الكفاية منهم.

وما يجب على خاصتهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجاتهم ومعرفتهم، وما أمر به خاصتهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيق ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي المحدِّث والحاكم مالا يجب على من ليس كذلك.

وينبغى أن يعرف أن جميع من ضلَّ في هذا العلم (أصول الدين) أو عجز فيه عن معرفة الحق، إنما هو بسبب تفريطه في اتباع ماجاء به الرسول، وكذلك الصد عن الاستدلال الموصل الى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا[1]

يقول تعالى ﴿... فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا

---

(١) أنظر صدرالدين على الحنفي. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. تحقيق أحمد محمد شاكر. مكتبة الرياض صـ ٩ — ١١.

ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾[1] ومضى خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان، على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، يوصي به الأول الآخر ويقتدى فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مقتدون، وعلى منهاجه سائرون ... يقول تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعنى﴾[2] فإن كان قوله (ومن أتبعنى) معطوفاً على الضمير في (أدعو) فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة الى الله، وإن كان معطوفا على الضمير المنفصل، فهو صريح أن أتباعه هم أهل البصيرة فيما جاء به دون غيرهم، وكلا المعنيين حق[3] .

التوحيد أول دين للبشرية وأول دعوة الأنبياء والرسل:

إن توحيد الله عز وجل بأنه واحد لاشريك له كان أول دين عرفه الانسان، وأول دعوة الأنبياء والرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله.

(إن الله سبحانه لما أهبط آدم أبا البشر من الجنة لما له في ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفتها، فكان اهباطه منها عين كماله، ليعود اليها على أحسن أحواله فاراد سبحانه أن يذيقه وولده من نصيب الدنيا وغمومها وهمومها ما يعظم به

(١) سورة طه الآيات / ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.
(٢) سورة يوسف – الآية / ١٠٨
(٣) أنظر المصدر السابق شرح الطحاوية صـ ٢

عندهم مقدار دخولهم اليها في الدار الآخرة، فإن الضد يظهر حسنه الضد، ولو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدرها، وأيضا فأنه سبحانه إراد أمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم، وليست الجنة دار تكليف، فاهبطهم الى الأرض وعرضهم بذلك لأفضل الثواب الذي لم يكن لينال بدون الأمر والنهي.

قال تعالى ﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[1]

﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر الى حين ﴾[2]

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾[3].

وأيضا فأنه سبحانه أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسلا وأولياء وشهداء يحبهم ويحبونه فخلى بينهم وبين أعدائه، وأمتحنهم بهم، فلما آثروه وبذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته ومحابه، نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينالوا بدون ذلك أصلاً.

فدرجة الرسالة والنبوة والشهادة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه عنده من أفضل الدرجات، ولم يكن

---

(١) سورة البقرة – الآية / ٣٥

(٢) سورة البقرة – الآية/٣٦

(٣) سورة البقرة – الآية/٣٧

ينال هذا إلا على الوجه الذى قدره وقضاه من إهباطه إلى الأرض وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها.

قال تعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منها هدى فمن تبع هُداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[1].

كما أن حكمته سبحانه اقتضت أن ينزل آدم وذريته داراً يظهر عليهم فيها أثر أسمائه الحسنى فيغفر فيها لمن يشاء ويرحم من يشاء ويخفض ويرفع من يشاء ويعز ويذل من يشاء ويمنع ويبسط لمن يشاء إلى غير ذلك من ظهور أثر أسمائه وصفاته.

ثم إن الله سبحانه أنزلهم إلى دار يكون ايمانهم فيها بالغيب، والايمان بالغيب هو الايمان النافع، وأما الايمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع نفس إلا ايمانها في الدنيا. فلو خلقوا في دار النعيم لم ينالوا درجة الايمان بالغيب.

وأيضاً فإن الله سبحانه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، والأرض فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والكريم واللئيم، فعلم سبحانه أن في ظهره من لا يصلح لمساكنته في داره، فأنزله إلى دار استخرج فيها الطيب والخبيث من صلبه، ثم ميزهم سبحانه بدارين فجعل الطيبين أهل جواره ومساكنته في داره، وجعل الخبيث أهل دار الشقاء دار الخبثاء ... قال تعالى ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[2].

---

(١) سورة البقرة – الآية/٣٨

(٢) سورة الأعراف – الآية/٢٤

وقال ﴿ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾[2]

كما أن الله سبحانه لما قال للملائكة ﴿ إنى جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ أجابهم بقوله ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾[3]

ثم أظهر سبحانه علمه لعباده ولملائكته بما جعله في الأرض من خواص خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه ومن يتقرب اليه ويبذل نفسه في محبته ومرضاته مع مجاهدة شهوته وهواه[4].

وقد قال تعالى بشأن الانسان الأول في حوار بينه وبين الملائكة ﴿ إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾[5]

---

(١) سورة الأعراف – الآية / ٢٧

(٢) سورة الأنفال – الآية / ٣٧

(٣) سورة البقرة – الآية / ٣٠

(٤) أنظر ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة. الجزء الأول. مكتبة الرياض الحديثة ــ ص٣، ٤

(٥) سورة صـ – الآيتان / ٧١، ٧٢

تدلنا الأيات السابقة الى أن الصلة بين هذا الانسان الأول وبين القوة العليا بدأت منذ اللحظة التي تقرر فيها أن يعمر الأرض كائن جديد غير الكائنات الاخرى، كائن صنع على نحو خاص، ميزه تعالى عن بقية الكائنات بميزة لم تعط لكائن آخر غيره، وهى نفخه من روح الله، أى القلب والفؤاد الذي يعقل ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ ... فقعوا له ساجدين أي أعلنوا الولاء والطاعة بالسجود له، وهذا السجود لم يكن الا لما تميز به الانسان من روح الله، وهو القلب والفؤاد ولما لهذا العقل من امكانات وقدرات.

التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع: إن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع[1]

أحدهما : الكلام في الصفات.

والثاني : توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والقلوب مفطورة على الاقرار به، أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من الموجودات.

كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض .. ﴾[2].

وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال .

الثالث : توحيد الالوهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن

---

(١) انظر شرح الطحاوية مصدر سابق صـ ١٩

(٢) سورة ابراهيم – الآية /١٠

يعبد وحده لاشريك له. وهذا متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لايقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لايصلح أن يكون إلهاً .

قال تعالى ﴿ والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾[1] وقال ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكّرون﴾[2]. وقال ﴿ قل لوكان معه إلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾[3]..

التوحيد الذي دعت اليه الرسل :

إن التوحيد الذي دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان[4]:

الأول : توحيد في الاثبات والمعرفة: وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[5] في ذلك كله كما أخبر عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح .. كما في سورة «الحديد» و «طـــه» وآخر «الحشر» وأول «السجدة – الم تنزيل» وأول «آل عمران «وسورة الاخلاص بكاملها، وغيرها من الآيات والسور .

---

(١) سورة النحل – الآية / ٢٠
(٢) سورة النحل – الآية / ١٧
(٣) سورة الاسراء – الآية / ٤٢
(٤) المصدر السابق ص ٢٩
(٥) سورة الشورى – الاية / ١١

والثاني : توحيد في الطلب والقصد : مثل ماتضمنته سورة ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ وأول سورة ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ وآخرها .

وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها. وأول سورة «الأعراف» وآخرها. وسورة «الأنعام». وغالب سور القرآن الكريم متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لاشريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي، وإما أمر ونهي والزام بطاعة، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن اكرامه لأهل توحيده ومافعل بهم في الدنيا ومايكرمهم به في الآخرة وهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك ومافعل بهم في الدنيا من أنكال ومافعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

ومايطلبه الاسلام من المسلم التصديق به كأساس لايمانه وكمال لعقيدته تجمعه كلمة الشهادة.. «أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله» التي هي عنوان لتحقيق جملة العقائد الاسلامية في قلب المسلم، وترجمة صادقة لما رسخ في نفسه واستقر في وجدانه عن إدراك واضح، ودليل قاطع، ويقين لايتزعزع من أنه «لامعبود بحق إلا الله» الواجب الوجود، الواحد المتفرد بالعبودية، وبكل صفات الكمال والجلال الذي لايشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه».

«كما أنها اعتراف صريح عن اذعان ويقين بأحقية رسالة محمد ﷺ بصدق ماجاء به من عقائد وأحكام .
فالاقرار بوحدانية الله يقتضي كمال الاعتقاد فيه سبحانه من جهتي الربوبية «الخلق والتربية» والألوهية «التفرد باستحقاقه للعبادة».

أما الاعتراف بأحقية رسالة محمد ﷺ فإنه يقتضي كمال الاعتقاد في أحقية القرآن والتصديق بكل ماجاء به وأخبر عنه من رسل الله وملائكته وكتبه واليوم الآخر [1] .
قال تعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[2] وقال ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾[3]

٥ ــ أصول العقيدة الإسلامية :

عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال «من شهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وإن الجنة حق والنار حق، ادخله الله الجنة على ماكان عليه من العمل»[4]

---

(١) محمد بيصار. العقيدة والأخلاق ص ١٠٧، ١٠٨.
(٢) سورة البقرة – الآية / ٢٨٥
(٣) سورة البقرة – الآية / ١٧٧
(٤) أخرجه مسلم. كتاب الايمان. الباب / ١٠ – باب من مات على التوحيد دخل الجنة .

فهذا الحديث يتضمن الأصول الثلاثة للعقيدة الاسلامية التي أوجب الاسلام على المسلم معرفتها، والايمان بها لتكتب له النجاة في الآخرة. وهي :

١ ــ معرفة الله تعالى وصفاته والايمان بهما، ويطلق على جملة المباحث المتعلقة به اسم (الآلهيات) .

٢ ــ معرفة الواسطة بين الله وعباده. وهي الايمان برسل الله وملائكته وكتبه وماجاءت به من تشريعات وتكاليف، ويطلق على جملة المباحث المتعلقة به (اسم النبوات) .

٣ ــ معرفة البعث والحساب والجزاء والايمان بها، ويطلق على المباحث المتعلقة بها اسم (السمعيات)[1]

الأركان الخمسة هي الأسس العملية والنظرية للاسلام كله .

إن الشهادتين هما الأساس العملي والنظري لكل ماعداها من الاسلام، فالانسان الذي لايشهد أنه لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله لايلتزم بالاسلام .

ولذلك كانت الشهادتان الركن الأول والأساسي لأركان الاسلام من جهة وأساس للاسلام كله من جهة ثانية .

بل أنه إذا كان الاسلام لا يقوم بلا أركان، فإن الاسلام وأركانه الأربعة لايقومان بلا شهادتين بل لايكون موجودا أصلاً، فالشهادتان بمثابة الروح للجسد، فكما أن كل ذرة من ذرات الجسد لاتكون بها حياة إلا بالروح فكذلك لاإله إلا الله محمد رسول الله

---

(١) محمد بيصار. المصدر السابق ص ١٠٩

هي حياة كل جزء من أجزاء الاسلام، فأي عمل يعمله الانسان من الاسلام لايكون نابعاً من هذا الأساس والأصول يعتبر ميتاً بل هو في ميزان الله معدوم .

وبهذا فإن أعمال الكافرين لاقيمة لها عند الله ولو كانت صالحة لأنها ميتة لا حياة فيها. يقول الله تعالى ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾[1] بل حتى المسلم إذا عمل عملا مهما كان صالحاً و لم يكن في عمله روح الشهادتين فلم يقبل منه هذا.

قال الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو أمرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه»[2] .

وكما اسلفت سابقاً فإن هاتين الشهادتين لاتنفصل إحداهما عن الأخرى، إن شهادة أن لاإله إلا الله تتممها شهادة أن محمداً رسول الله . حيث أن شهادة أن لاإله إلا الله تقتضي سلوكا معنوياً ومعاني معينة ولها حقوق وعلى صاحبها واجبات ولصاحبها جزاؤه. وعلى تاركها عقابه، وهذا كله لايعرف إلا بواسطة الرسول الذي هو رسول الله حقاً فالتكامل أو التلازم بينهما كبير .

معرفة الرسول شرط لمعرفة الله تعالى :

إن الانسان لايستطيع القيام بلوازم «لاإله إلا الله» إلا إذا

---

(١) سورة الفرقان – الآية / ٣٣

(٢) رواه البخاري (كتاب الايمان / الباب ٤١ – ماجاء في أن الأعمال بالنية)

عرف رسوله وتعرف بواسطة رسوله على الطريق الذي يجب أن يسير عليه لتحقيق لوازم وحدانية الله هذه، وبدون ذلك يظل الانسان في متاهات الضلال الكبير البعيد الذي لايعرف معه سيراً ينسجم مع وضعه، ويصل به إلى الهدف مبتدئاً من بداياتها الصحيحة. فمعرفة الرسول شرط لمعرفة الله إذ لايقوم أحد بحق الله إلا إذا عرف رسوله.

ولذلك حكم الله بكفر من لم يؤمن بالرسول الذي يرسله للناس بعد أن أقام الحجة على الناس برسالته .

قال الله تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله * ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً... ﴾[1]

الايمان بالغيب : ويتبع الايمان بالشهادتين والنطق بهما، الايمان بالغيب الذي أخبرنا عنه الله بواسطة رسوله وأصول هذا الايمان أو أركانه «الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره من الله» وهذه كلها تدخل ضمناً بالشهادتين، فالمؤمن بالشهادتين كان إيمانه بها في الحقيقة ايمانا بكل أركان الايمان الأخرى، ولذلك يكتفي من الانسان إذا أراد الدخول بالاسلام أن يقول أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ويعتبر ذلك من المؤمنين إن كان صادقاً [2] .

فكلمة (لاإله إلا الله)- إقرار لله بالوحدانية ﴿ وقال الله

(١) سورة النساء - الآيتان / ١٥٠، ١٥١

(٢) أنظر سعيد حوى. الاسلام. الطبعة الأولى. ص ١٩ - ٢٦

لاتتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأياي فارهبون ﴾[1] فلا معبود سواه، هو المدبر وهو الخالق وهو الرازق وهو على كل شيء قدير.

وكلمة (محمد رسول الله) لايتم الاسلام إلا بها والتصديق بما جاء به (والايمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل).

آثار « لاإله إلا الله محمد رسول الله » في المجتمع المسلم :

قدّم لنا سيد قطب رحمه الله في كتابه معالم في الطريق بحثاً قيماً تحت عنوان «لاإله إلا الله منهج حياة» أعرض منه هنا النص التالي :

العبودية لله وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الاسلامية المتمثل في شهادة «أن لاإله إلا الله» والتلقي عن رسول الله ﷺ في كيفية هذه العبودية هو شطرها الثاني، المتمثل في شهادة «أن محمداً رسول الله».

والقلب المؤمن المسلم، هو الذي تتمثل فيه هذه القاعدة بشطريها، لأن كل ما بعدهما من مقومات الايمان. وأركان الاسلام، إنما هو مقتضٍ لها، فالايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره، وكذلك الصلاة والزكاة والصيام والحج ثم الحدود والتعازير والحل والحرمة والمعاملات والتشريعات والتوجيهات الاسلامية، إنما تقوم كلها على قاعدة العبودية لله وحده، كما أن المرجع فيها كلها هو ما بلّغه لنا رسول الله ﷺ عن ربه.

---

(١) سورة النحل – الآية / ٥١

والمجتمع المسلم هو الذي تتمثل فيه تلك القاعدة ومقتضياتها جميعاً، لأنه بغير تمثل تلك القاعدة ومقتضياتها فيه لايكون مسلماً ومن ثم تصبح شهادة «أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها، فلا تقوم هذه الحياة قبل أن تقوم هذه القاعدة، كما أنها لاتكون حياة اسلامية إذا قامت على غير هذه القاعدة .

أو قامت على قاعدة أخرى معها، أو عدة قواعد أجنبية عنها :

﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم .. ﴾[1]

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[2]

هذا التقرير الموجز المطلق الحاسم يفيدنا في تحديد كلمة الفصل في قضايا أساسية في حقيقة هذا الدين، وفي حركته الواقعية كذلك :

ـــ إنه يفيدنا أولاً في تحديد «طبيعة المجتمع المسلم» .

ـــ ويفيدنا ثانياً في تحديد « منهج نشأة المجتمع المسلم » .

ـــ ويفيدنا ثالثاً في تحديد « منهج الاسلام في مواجهة المجتمعات الجاهلية » .

ـــ ويفيدنا رابعاً في تحديد « منهج الاسلام في مواجهة واقع الحياة البشرية » .

وهي قضايا أساسية بالغة الخطورة في منهج الحركة الاسلامية قديماً وحديثاً .

---

(١) سورة يوسف – الآية ٤٠

(٢) سورة النساء. الآية ٨٠

[يلزم أن يعمل بها كل مسلم، وأن تجند له كل وسيلة شريفة، فالمسلم مكلف بحياطة حركته بمنهج لاإله إلا الله، والصحافة أداة يجب أن تخدم هذا] .

المجتمع المسلم : إن السمة الأولى المميزة لطبيعة المجتمع المسلم، هي أن هذا المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في أمره كله.. هذه العبودية التي تمثلها وتكفيها شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وتتمثل هذه العبودية في التصور الاعتقادي، كما تتمثل في الشعائر التعبدية، كما تتمثل في الشرائع القانونية .

ـــ فليس عبداً لله وحده من لايعتقد بوحدانية الله سبحانه : ﴿ وقال الله لاتتخذوا الٰهين اثنين إنما هو إله واحد فاياي فارهبون * وله مافي السماوات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ؟ ﴾[1]

ـــ ليس عبدا لله وحده من يتقدم بالشعائر التعبدية لأحد غير الله، معه أو من دونه. ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[2]

ـــ وليس عبدا لله وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحد سوى الله، عن الطريق الذي بلغنا الله به، وهو رسول الله ﷺ : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله؟ ﴾ [3] ﴿ ومأأتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فأنتهوا ﴾[4]

---

(١) سورة النحل – الآيتان ٥١، ٥٢

(٢) سورة الأنعام – الآيتان ١٦٢، ١٦٣

(٣) سورة الشورى – الآية ٢١

(٤) سورة الحشر – الآية ٧

هذا هو المجتمع المسلم، المجتمع الذي تتمثل العبودية لله وحده في معتقدات أفراده وتصوراتهم، كما تتمثل في شعائرهم وعبادتهم، كما تتمثل في نظامهم الجماعي وتشريعاتهم، وأيما جانب من هذه الجوانب تخلف عن الوجود فقد تخلف الاسلام نفسه عن الوجود لتخلف ركنه الأول، وهو شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله[1] ــ وماقرأناه في كتاب الاسلام للأستاذ الداعية سعيد حوى والمقتطفات التي أوردناها من كتاب المعالم لشهيد الاسلام سيد قطب، كلاهما يؤكد على معنى لاإله إلا الله محمد رسول الله. وشمولية هذه لما يجب أن يعتقده المسلم ويؤمن به إيماناً كاملا مترجماً ماأشتملت عليه الشهادتين في واقعه من عباداته ومعاملاته في سلوكياته وأخلاقياته .

ويوم أن يلتزم المسلم حقا ويعمل قولا وفعلا ويطبقها على نفسه وبيته ومجتمعه. يكون للشهادتين فاهماً، ولمعناهما مطبقاً، ولله عابداً قانتاً .

٦ ــ كيف ينشأ المجتمع المسلم ؟ ومامنهج هذه النشأة ؟

إن هذا المجتمع لايقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله في العبادات والشعائر ولا تدين بالعبودية لغير الله في النظم والشرائع. ثم تشرع فعلا في تنظيم حياتها كلها على أساس هذه العبودية الخالصة، أما قبل أن يقرر جماعة من الناس اخلاص عبوديتهم لله على هذه

---

(١) سيد قطب. معالم في الطريق ص ٨٣ - ٨٥

الصورة فانهم لايكونون مسلمين.. وأما قبل أن ينظموا حياتهم على هذا الأساس فلا يكون مجتمعهم مسلماً. وذلك لأن القاعدة الأساسية التي تقوم عليها شريعة الأسلام والمجتمع المسلم، هي « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » لم تقم بشطريها .

إستطـــراد : على ضوء ما تقدم فإن من مهام الصحافة الاسلامية في هذا الصدد وقبل التفكير في إقامة نظام اجتماعي اسلامي وإقامة مجتمع مسلم على أساس هذا النظام، هو أن يتجه اهتمامها «الصحافة» أولا بالدعوة إلى تخليص ضمائر الأفراد من العبودية لغير الله في أي صورة كانت وأن تدعو إلى أن يجتمع هؤلاء الأفراد الذين تخلص ضمائرهم من العبودية لغير الله في جماعة مسلمة.. وهذه الجماعة التي خلصت ضمائر أفرادها من العبودية لغير الله اعتقادا وعبادة وشريعة هي التي ينشأ منها المجتمع المسلم، وبالتالي الدعـوة إلى الالتحاق والانضمام لهذه الجماعة، لكل من يريد أن يعيش في هذا المجتمع بعقيدته وشريعته التي تتمثل فيها العبودية لله وحده .

وبطبيعة الأمر أن المجتمع المسلم إنما ينشأ من انتقال أفراد ومجموعات من الناس من العبودية لغير الله – معه أو من دونه – إلى العبودية لله وحده بلا شريك، ثم من تقرير هذه المجموعات أن تقيم نظام حياتها على أساس هذه العبودية .

فعندئذ يتم ميلاد جديد لمجتمع جديد مشتق من المجتمع الجاهلي القديم ومواجه له بعقيدة جديدة ونظام للحياة جديد، يقوم على أساس هذه العقيدة، وتتمثل فيه قاعدة الاسلام الأساسية بشطريها « شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

وقد ينضم المجتمع الجاهلي القديم بكامله إلى المجتمع الاسلامي الجديد، وقد لا ينضم كما أنه قد يهادن المجتمع المسلم الجديد أو يحاربه فلا بدّ إذاً للمجتمع المسلم كي يتقرر وجوده، أن يتسلح بكل مايستطيع من أنواع القوة، ليقف بوجه ضغط المجتمع الجاهلي القديم، قوة في الاعتقاد والتصور، وقوة في الخلق والبناء الذاتي، وقوة في التنظيم والبناء الجماعي خاصة إذا عرفنا بأن السنة قد جرت بأن يشن المجتمع الجاهلي حرباً لاهوادة فيها – سواء على طلائع هذا المجتمع في مرحلة نشوئه أو بعد قيامه فعلا – وهو ماحدث في تاريخ الدعوة الاسلامية منذ نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام. بدون استثناء.[1]

ماالمجتمع الجاهلي ؟ ومامنهج الاسلام في مواجهته ؟

المقصود بالمجتمع الجاهلي، هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم، بعبارة أوضح هو كل مجتمع لايخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر التعبدية وفي الشرائع القانونية .

وعلى ضوء هذا التعريف يدخل ضمن إطار هذا المجتمع الجاهلي، جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض :

الشيوعية بالحادها في الله تعالى وبانكار وجوده أصلا، ورجع الفاعلية والخلق في هذا الوجود إلى «المادة» أو الطبيعة ورجع الفاعلية في

---

(١) أنظر سيد قطب. معالم في الطريق ص ٨٦ – ٨٧

حياة الانسان وتأريخه الى «الاقتصاد» أو «أدوات الانتاج». ثم باقامة نظام العبودية فيه للحزب، فهي مجتمع جاهلي .

الوثنيـــة : وهي ماتزال قائمة في الهند واليابان والفلبين وأفريقيا مجتمع جاهلي.. أولا بتصورها الاعتقادي القائم على تأليه غير الله معه أو من دونه، وثانيا بتقديم الشعائر التعبدية لمختلف الأٰلهة والمعبودات التي تعتقد بألوهيتها وما تقوم به من أنظمة وشرائع المرجع فيها لغير الله وشريعته .

وتدخل ضمن المجتمع الجاهلي – المجتمعات **اليهودية والنصرانية** في أرجاء الأرض كافة، تدخل في تصورها الاعتقادي المحرف الذي لايفرد الله سبحانه – بالألوهية – بل يجعل له شركاء في صورة من صور الشرك، سواء بالبنوة أو بالتثليث. أو بتصور الله سبحانه على غير حقيقته، وتصور علاقة خلقه به على غير حقيقتها. وتدخل فيه كذلك بشعائرها التعبدية ومراسمها وطقوسها المنبثقة من التصورات الاعتقادية المنحرفة الضالة. ثم بأنظمتها وشرائعها، وهي كلها لاتقوم على العبودية لله وحده بالاقرار له وحده بحق الحاكمية واستمداد السلطان من شرعه، بل تقيم هيئات من البشر لها حق الحاكمية العليا التي لا تكون الا لله تعالى .

مجتمعات تزعم أنها «مسلمة»: ويدخل ضمن إطار المجتمع الجاهلي هذه المجتمعات لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها، فهي – وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله – تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فنراها تدين بحاكمية غير الله فتأخذ

من هذه الحاكمية نظامها وشرائعها وقيمها ومبادئها وتقاليدها وثقافاتها وربما جميع مقومات الحياة .

يقول تعالى عن الحاكمين : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[1]

ويقول عن المحكومين ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ومأأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به .. ﴾ [2] إلى أن يقول ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [3].

ـــ ثم أن بعض هذه المجتمعات يعلن صراحة – علمانيته – ولاعلاقة له بالدين أصلا – وبعضها يعلن أنه «يحترم الدين» ولكنه يخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلاً ويدعي أنه ينكر الغيبية، ويقيم نظامه على العلمية بدعوى أن العلمية تناقض الغيبية، وهي دعوى لايدعيها إلا الجُهّـال .

والبعض يجعل الحاكمية الفعلية لغير الله تعالى. ويشرع مايحلو له ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه، هذه شريعة الله وكلها سواء في كونها لاتقوم على العبودية لله وحده [4]

و«المؤلف» يذهب إلى ما ذهب إليه الشهيد سيد قطب في بيان صور المجتمع الجاهلي .. مضيفاً إن ساحتنا العربية الإسلامية

(١) سورة المائدة – الآية ٤٤

(٢) سورة النساء – الآية ٦٠

(٣) سورة النساء – الآية ٦٥ .

(٤) أنظر سيد قطب – معالم في الطريق ص ٨٨ – ٩٣

لا تخلو اليوم من هذه الصور أو الأوصاف الخاصة بالمجتمعات الجاهلية .. فما أكثر الحاكمين .. وما أكثر ذلك الصنف من الاتباع والمهادنين والمنافقين .. ومن وعاظ السلاطين والطواغيت، بمختلف صورهم – أفراداً أو احزاباً ومنظمات – إن من مسلمات الإيمان بالله واتباع شرعه هو الكفر بالطاغوت أولاً .. فكيف الحال بهؤلاء وأولئك من الطواغيت وأتباعهم .. إنهم بهذا يشكلون صورة من صور المجتمع الجاهلي لا محالة .. رغم زعمهم أنهم مسلمون وأن مجتمعاتهم مسلمة .. يقول تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ..﴾[1].

خـــلاصة :

نخلص من العرض السابق إلى أن المجتمع الجاهلي قد يتمثل في صور شتى «كلها جاهلية». قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود الله تعالى ويفسر التاريخ تفسيراً مادياً جدلياً ويطبق مايدعيه «الاشتراكية العلمية» نظاما .

ثم أنه قد يتمثل في مجتمع لاينكر وجود الله تعالى، ولكن يجعل له ملكوت السموات ويعزله عن ملكوت الأرض فلا يطبق شريعته في نظام الحياة ولايحكم قيمه التي جعلها هو قيماً ثابتة في حياة البشر، ويبيح للناس أن يعبدوا الله في الكنائس والمساجد ولكنه يحرم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة الله في حياتهم، وهو بهذا ينكر

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢٥٦

أو يعطل ألوهية الله في الأرض التي ينص عليها قوله تعالى ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله .. ﴾[1]

وبالتالي لم يكن هذا المجتمع إسلامياً في دين الله الذي يحدده قوله ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم .. ﴾[2] فهو إذاً مجتمع جاهلي ولو أقر بوجود الله سبحانه ولو ترك الناس يقدمون الشعائر لله في الكنائس والمساجد .

ومهمة الصحافة الاسلامية أن توضح الطريق إلى الله وتكشف كل أسباب البعد عن هذا الطريق وتزين وتجمل طريق الحق بالحقيقة، وتقبح الشرك والجاهلية والضلال، وأن تطرح مفهوم العقيدة بأسلوب علمي وتكشف للتائهين الذين يعيشون على مفترق الطرق تأخذ بأيديهم وتنير بصائرهم، وتذكرهم بفطرتهم – كما سيجيء — .

وإن وسائل الجاهلية المعاصرة – أو السائدة الآن – لمعول هدم ومأأحرى صحافتنا أن تأخذ دورها وتؤدي مهمتها، وتأخذ بأيدي أبناء الاسلام لتردهم إلى فطرتهم، وتربطهم بدينهم .

يقول تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾[3]

٧ — رابطة العقيدة وأثرها في توجيه الفرد والمجتمع بوجه عام :

ليس من المعقول أو للمعهود أن شخصاً ما، يكون على عقيدة

---

(١) سورة الزخرف – الآية / ٨٤

(٢) سورة يوسف – الآية / ٤٠

(٣) سورة الأحزاب – الآية / ٧٢

معينة، ويرسخ ايمانه بدين خاص، ثم تأتي تصرفاته مخالفة لمبادىء هذه العقيدة أو يأتي تصرفه وسلوكه مخالفاً لتعاليم هذا الدين ومتنكراً لأوامره ونواهيه، إلا إذا كان اعتقاده زائفاً أو تدينه ظاهرياً فقط أو ايمانه بهذا المعتقد مجرد تقليد للآخرين من غير تصديق قلبي أو رضا نفسي يصل به إلى حد اليقين .

أما إذا وصل بمعتقده إلى درجة التصديق الجازم، والايمان الراسخ وبلغ تدينه بهذا المعتقد أو هذا الدين إلى حد الاقتناع المبنى على الرضا والقبول والتسليم بكل ماجاء به هذا الدين، فإنه عندئذ يستحيل عليه أن يخالف هذا الدين أو يناقض مقتضى العقيدة .[1]

إن عقيدتنا الاسلامية تمر اليوم وبكل أسف ومرارة بمحنة كبيرة، يشاركها في هذا الخلق، وقبل أن ندعم أياً منهما، يجب علينا أولا أن ننهي هذه المحنة بل يجب أن نكون أكثر جرأة فنقرر أن العقيدة والأخلاق في مجتمعاتنا العربية الاسلامية تعيشان في غربة عن الاسلام الصحيح الذي رضيه الله لعباده ديناً، وهذا إذا نظرنا إلى واقع الحال بنظرة عامة لا خاصة .

فمن مظاهر الانحراف الاجتماعي في المجتمعات العربية الاسلامية المعاصرة اختلال رابطة العقيدة بين أبناء المجتمع الواحد. وبناء العلاقات الاجتماعية على أسس مصلحية وروابط عابرة تنتهي بانتهاء المصلحة .

---

(١) د. محمد بيصار. العقيدة والاخلاق ص ٧٠

رابطة العقيدة الاسلامية بوجه خاص :

وعقيدتنا الاسلامية تحرص دائما على أن تكون العلاقات المقامة بين أفراد المجتمع المسلم مبنية على أسس دينية لاغير، ليكون هذا المجتمع أهلاً لخلافة الله في الأرض. ويكون لهذا البناء الفاعلية المطلقة في تقدم المجتمع ورقيه في مختلف مناحي الحياة الانسانية، ويبعث فيه روح العمل للسمو بالانسان في معارفه ومداركه وجوهر حياته إلى مايقربه من هذه العقيدة... وتحضه على ممارسة الشعائر الدينية وعلى اتيان فضائل الأعمال واجتناب رذائلها بل ستقوده إلى النجاح والتوفيق والنصر فيما يأتي من أعمال، وستضمن له الفلاح فيما يعرض له من مشروعات عمرانية أو أدبية، لأن هذه العقيدة ستمده بطاقات جديدة خلاّقة من الثقة بالنفس والاعتماد عليها والايمان بوصوله إلى غايته وبلوغ بغيته مؤيداً في ذلك كله بمدد الهي.

إن رابطة العقيدة هي الرابطة الوحيدة التي تربط المسلم بغيره من المسلمين ولذلك اعتبر الله سبحانه وتعالى سيدنا نوح عليه السلام قد خالف سنة الله عندما طلب من الله سبحانه أن ينقذ ابنه من الغرق بحجة أنه من أهله ﴿ ونادى نوح ربه فقال: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال ربِ إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم والاّ تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾[1]

(١) سورة هود – الآيات / ٤٥، ٤٦، ٤٧

فالعلاقة تنتهي بين الأب والأبن إذا اختار أحدهما الكفر على الايمان، وتكون الرابطة شكلية فقط، وخاصة من قبل الأبن إلى الأب ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا .. ﴾[1] وفي سورة أخرى ﴿ وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما .. ﴾[2]

فالله سبحانه وتعالى أراد أن تكون العلاقة عقديه حتى بين الأب والأبن، رغم قوة هذه العلاقة من حيث الأبوة والبنوة، وقد وضحها الله في مثال إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه وماحدث بينهم من نفار، خاصة بعد أن رفض والد إبراهيم أن يستجيب لنداء الله الذي دعاه اليه أبنه فقرر أبنه إبراهيم أن يعتزله ويعتزل المجتمع كله ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا * وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾[3]

والعلاقة بين الزوج والزوجة أيضا يجب أن تكون علاقة مبنية على أساس العقيدة، ويضرب الله مثلا لذلك زوجة نوح وزوجة لوط، وللنساء الصالحات زوجة فرعون التي طلبت من الله أن ينجيها من فرعون وعمله .

فهكذا تكون العلاقة بين الفرد والمجتمع، علاقة عقديه، وبخاصة إذا كان الفرد ضمن مجموعة مؤمنة، والمجتمع يحاربهم، فالبراءة من

---

(١) سورة لقمان - الآية / ١٥

(٢) سورة العنكبوت - الآية / ٨

(٣) سورة مريم - الآيتان / ٤٧، ٤٨

المجتمع ضرورة عقدية لتحصل بين الطرفين مفاصلة بعد اقامة الحجة على المجتمع ... يقول الله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .. ﴾[1]

وقد ضرب الله تعالى هذه الأمثلة للرسول ﷺ ولأصحابه، لتكون درساً وعبرة لهم في صراعهم مع الجاهلية الأولى التي كانت تقيم لرابطة الدم والنسب والعرق واللغة أهمية كبرى، فجاء الاسلام ليقرر أن الآصرة التي تربط المسلمين ببعضهم ليست رابطة العرق ولا الجنس ولا اللسان ولا الدم ولا النسب ولا المصالح المادية، إذ من السهل إقامة مثل هذه العلاقات في المجتمع، ونراها متفشية في مجتمعاتنا المعاصرة، ولكن من الصعب أن تستمر مثل هذه العلاقات، وأقرب مثال وأوضحه على ذلك أن الدول العربية من المحيط إلى الخليج تتكلم لغة واحدة، وتنتمي إلى عرق واحد وأصل واحد وتدعي أنها تدين بدين واحد، وبينها مصالح مشتركة، ومع هذا فالانسان يخجل كثيراً أن يذكر مابينها من عداء وتناحر مستمر وفرقة دائمة ومتزايدة .

ألا يرجع سبب هذا إلى إنعدام الآصرة العقدية واختلال العقيدة في النفوس ؟.

في حين نرى وفي هذا الوقت بالذات أن العلاقة بين بعض الدول العربية ودول العالم الاسلامي – غير العربية – هي أقوى

(١) سورة الممتحنة – الآية / ٤

بكثير من علاقة هذا البعض مع البعض الآخر من شقيقاته العربيات، وأعتقد أن الأمر لا يحتاج إلى تفصيل أو تحديد فهو أمر ملموس وواضح لكل ذي بصيرة، وتذبذب العلاقات العربية بين الحين والآخر وعدم استقرارها على حال – حسب الاهواء – هو أيضاً واقع معاش .

يقول الله عز وجل ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون ﴾[1]

يقول ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا أباءكم واخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾[2]

فلقد أنزل الله سبحانه وتعالى في شأن أبي عبيدة بن الجراح وشأن أبيه الآيات السابقات .

كان عامر بن عبدالله بن الجراح الفهري القرشي، المكنى بأبي عبيدة، من السابقين الأولين إلى الاسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لاسلام أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، وقد عاش أبو عبيدة تجربة المسلمين القاسية في مكة منذ بدايتها إلى نهايتها، وثبت للابتلاء والاختبار لكن محنة أبي عبيدة يوم بدر فاقت حسبان الحاسبين وتجاوزت كل خيال، فانطلق يوم بدر يصول ويجول بين الصفوف،

(١) سورة المجادلة – الآية / ٢٢
(٢) سورة التوبة – الآية / ٢٣

وهابه المشركون وفرسانهم إلا رجلاً واحداً منهم جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه ويلح في الهجوم لكن أبا عبيدة يتنحى عنه في كل مرة يواجهه فيها، بل وسد على أبي عبيدة المسالك ووقف حائلاً بينه وبين قتال أعداء الله، فضاق به ذرعاً وضرب رأسه بالسيف ضربة فلقت هامته فلقتين فخر صريعاً بين يديه، إنه عبدالله بن الجراح والد أبي عبيدة، فأبو عبيدة لم يقتل أباه وإنما قتل الشرك في شخص أبيه .

وقد ورد في تفسير ابن كثير[1] أنزلت هذه الآية ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ... إلى أخرها ﴾ في أبي عبيدة عامر بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضى الله عنهم، ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته، وقيل في قوله تعالى ﴿ ولو كانوا أباءهم .. الآية ﴾ نزلت في أُبي بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ﴿ أوعشيرتهم .. ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضا، وفي حمزة وعلي وعبيده بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ .

من هنا تتجلى قوة إيمان أبي عبيدة بالله ونصحه لدينه، وأمانته على أمة محمد، فقد قال فيه الرسول الكريم ﷺ «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيده[2] » كما تتجلى قوة تلك العقيدة لدى

(١) الجزء الرابع ص ٣٢٩

(٢) رواه الترمذي برقم / ٣٧٩٣ و ٣٧٩٤ في المناقب - باب مناقب معاذ وزيد وأبي بن كعب وأبي عبيدة، وقال هذا حديث حسن صحيح (كما في جامع الأصول) الجزء / ٨ ص ٥٦٧

أصحاب رسول الله التي لاتقوم على رابطة العرق أو الجنس أو الدم أو النسب، إنها رابطة العقيدة الاسلامية .

فالقرآن الكريم يأمر بمباينة الكفار بالله تعالى، وإن كانوا أباءً وأبناءً وأخوة، ونهى عن موالاتهم إن استحبوا – أي أختاروا – الكفر على الايمان .

يقول تعالى ﴿ قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾[1].

كما ثبت في الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال «والذي نفسي بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين»[2] .

كما أن «المؤاخاة» في الله ودينه هي الاخرى كانت أساساً قوياً تربط أبناء العقيدة الواحدة، قال تعالى: «إنما المؤمنون أخوة» يعني في التواد وشمول الدعوة، والرسول الكريم ﷺ آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على أساس من العقيدة لا على أساس العرق أو الجنس أو الحسب والنسب، حيث قال ﷺ « تآخوا

---

(١) سورة التوبة – الآية/٢٤

(٢) رواه مسلم حـ ١ في كتاب / ١ باب / ١٦ – كتاب الايمان . باب وجوب محبة الرسول، والبخاري / حـ ١ كتاب / ٢ – كتاب الايمان باب / ٨ (حب الرسول ﷺ من الايمان) .

في الله أخويّن أخوين، ثم أخذ بيد على بن أبي طالب، فقال هذا أخي »[1].

فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولانظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين. وكان حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين. وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زهير أخوين. وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين. ومصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بن النجار أخوين. وبلال وأبو رويحه أخوين... «فهؤلاء وغيرهم ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه»[2].

وهكذا يركز القرآن الكريم على قضية رابطة العقيدة بين الناس، حتى أنه يعتبر الذين يقيمون العلاقة على أساس غير عقدي من الكافرين، وينفي عنهم الايمان.

ثم أن العقيدة لها ارتباط بعنصر يكون فيه الانسان مميزاً عن الحيوان، ألا وهو الاختيار والإرادة... فالانسان يملك أن يختار عقيدته ودينه ويقرر نوع المجتمع الذي يرغب في العيش فيه إذا بلغ الحلم، ولكنه لايملك أن يقرر جنسه ودمه ونسبه ولونه وقومه، فمن أجل

---

(١) بحثت عن الحديث في كتب السنة ولم أجد تخريجا له. ولكن ورد في كتاب« فقه السيره» للغزالي ص ١٩٥ - الهامش - بأنه حديث موضوع .

(٢) للاستزاده من معرفة أسماء المهاجرين والأنصار - الذين آخى بينهم الرسول الكريم يراجع كتاب السيرة النبوية لابن هشام - المجلد الثاني - طبعة بيروت - ص ١٥٠ .

الحفاظ على أخص خصائص الانسان ومايميزه عن الحيوان جعل الله تعالى «العقيدة» هي الرابطة التي تجمع الناس من شتى الأقطار والألوان واللغات لينصهروا جميعاً في بوتقة العقيدة، لافضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أحمر أو أسود إلا بالتقوى، في هذه البوتقة العقدية تتآلف كل الأجناس والعناصر لتكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولقد حرص أعداء الاسلام على محو هذه الرابطة من النفوس وتفننوا في أساليب القضاء عليها لأنهم يدركون قوتها وقيمتها في تأليف وتوحيد القلوب .

إذن نحن اليوم – أكثر من أي وقت مضى – في حاجة أولا وقبل كل شيء إلى وجود حقيقي للعقيدة والأخلاق في المجتمعات الاسلامية، ثم تأتي المرحلة التالية مرحلة التدعيم والحفاظ على البناء العقدي والخلقي، ومن أجل تحقيق ذلك يجدر بالصحافة أن تأخذ بنظر الاعتبار اختيار الموضوعات الاسلامية، بحيث يتوافر عنصر الملاءمة، وأن تعرض مبادىء العقيدة في وضوح ويسر، وأن تحّول المثل الأخلاقية إلى حوار سهل جذاب يسهم في بلوغ الهدف، وإذا كان من الضروري أن تبرز الصحافة القواعد المتينة في بناء العقيدة والأخلاق، فمن الضروري أيضا أن تتصدى للعوامل التي تعرضهما للاهتزاز في نظر شبابنا المسلم، فهذه العوامل صور من التحدي للعقيدة والأخلاق التي تتسلل الينا من الفكر اليهودي والفكر الصليبي والفكر الماركسي الالحادي، ومما ينضوي تحت هذه الأفكار من نظريات أو مسميات الوطنية والقومية والاشتراكية .

٨ ــ أهمية الترويج للثقافة الاسلامية ونشرها :

مما لاشك فيه أن ثقافة أي أمة يجب أن تقوم على أساس من القيم التي تسود مجتمعها، وهي قيم وثيقة الصلة بالعقيدة والفكر والسلوك ونمط الحياة ووجهة الحركة وتحديد الهدف.

لكي تكون الثقافة الإسلامية صورة حية للأمة، تحدد ملامح شخصيتها وتضبط اتجاهات سيرها في الحياة وأهدافها فيها، وتصدر عن عقيدتها ومبادئها ونظمها وتأريخها وتراثها، لكي تكون هكذا ينبغي أن يكون في طليعة ماتهتم به الصحافة ويهتم به الصحفيون أن يحولوها من نظر مجرد إلى واقع حي ملموس، وأن يصلوا حياة الناس بها، حتى تكون مصدراً لفكرهم وشعورهم، وطابعاً لسلوكهم وطريقة حياتهم .[1]

الدعامات التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية :

ترتكز الثقافة الإسلامية على دعامتين أساسيتين، هما العقيدة والفطرة :

فالعقيدة الإسلامية في معناها المتسع وآفاقها البعيدة هي: عقيدة التوحيد ومنهج الاستقامة والحق وشرعة الخير والهدى، بها يرسم المسلم الخطة القويمة للسير، ويسلك السبيل الأقوم في الحياة لبلوغ أسس الغايات .

وأبرز مافيها أنها تتلائم وفطرة الانسان وتطلعاته وأشواقه،

---

(١) أنظر، عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الاسلامية طبعة/ ١٩٧٣م بيروت ص ٢٥ .

وتكون البناء الفكري لعقلية المسلم والباعث النفسي لسلوكه، وعلى أساس فلسفتها يبني نظام حياته في المجالات كافتها .

فعندما تشتد الأزمات وتدلهم الحياة وتحتد خطوبها، ويتألب الشر وتتضافر قواه. وتجد الأمة الإسلامية نفسها على مفترق الطرق حائرة، فإن الرائد الذي يقودها نحو وجهة الخير والعزة والنصر، ويدفعها الى مواجهة واقتحام العقبات ويغريها على تحمل الأعباء واستبدال الدعة والراحة وبحبوحة العيش وماقد يتبعها من ذل وضعف وهزيمة باليقظة المستمرة، واحتمال المشاق والأقدام على أخطار الموت، وما يتبع ذلك عادة من قوة وكرامة ومجد، إنما هو «العقيدة الإسلامية» التي تبدأ من الحقيقة الألهية التي يصدر عنها الوجود كله، ثم تسير مع هذا الوجود في كل صوره واشكاله وموجوداته، وتعنى عناية خاصة بالانسان خليفة الله في الأرض .[1]

فالثقافة الاسلامية اذن ترتكز على منهج قويم، يتجلى في العقيدة التي بها تتحقق هذه الصلة وهذا الانسجام بين الله والكون والانسان .

أما الفطرة : الدعامة الأساسية الثانية للثقافة الإسلامية، فإنما هي الفطرة النقية الأصيلة التي فطر الله الناس عليها، فبرئت من التشوية والخلل، ولم تفسد بفعل الأهواء العارضة والنزوات العابرة، لأن موجبات الهداية وأسباب الاستقامة منزهة بكيان الانسان منذ نشأته ودلائل الحق تنبع من نفسه ومن الكون حوله .

---

(١) محمد قطب – منهج الفن الاسلامي . طبعة / ١٩٧٣ بيروت ص ١٢.

ولو تركت الفطرة الانسانية من غير محاولة افسادها وتشويهها، لما أنحرفت عن عهد الله، ولا زاغت عن هداه أوضلت عن سبيله، ولأنطلقت في جو الحقائق الناصعة والبراهين الناطقة والعظات النافعة التي تتحرر بها العقول من الأوهام، وتطهر بها القلوب من جواذب الانحراف وضغط الأهواء.

وفضل الفطرة السليمة على الانسان أنها تسمو به إلى معارج الكمال وتوجهه نحو الخير والهدى والاستقامة على أمر الله.

قال رسول الله ﷺ في حديث قدسي «يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فأجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[1]

من هنا كان الاسلام دين الفطرة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾.[2]

وكانت مفاهيمه وثقافته متفاعلة في النفس مع الفطرة الأصيلة يؤديها العقل الواعي وتزكيها البصيرة النيّرة.[3]

سمات الثقافة الاسلامية:

للثقافة الاسلامية سمات مميزة تتمثل في: الثبات والشمول والتوازن والوحدة والحركة.

---

(١) رواه مسلم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها - الباب/ ١٦ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٢) سورة الروم - الآية/ ٣٠

(٣) الاعلام والعلاقات الانسانية صـ ٣٤٠ - ٣٤١.

أما الثبات: فلأنها تعتمد على حقائق لا تتبدل وأصول لا تتغير ومبادىء لا تبلى : من إيمان وتقوى وبر ومعروف وإخاء ومساواة وعدالة وحرية وحب واحسان .

وأما الشمول : فيتمثل في ذلك التصور الشامل الذي يبدأ مع الحقيقة الألهية التي يصدر عنها الوجود كله، وتتناول الحياة وطبيعتها، والوجود ومكانة الانسان فيه ومايربط بين الله والكون والانسان من وشائج .

فالثقافة الاسلامية تأخذ من الاسلام شموله وسعته. لذلك فهي تعرض الحياة متصلة متناسقة محكومة كلها بقانون واحد كبير، في حين أن بعض الثقافات الأخرى يعرضها مقطعة الأوصال مفرقة الأجزاء، فتفقد معناها الشامل ومغزاها العميق .

وأما التوازن : فهذا نلمسه حينما ننظر إلى حقيقة الثقافة الاسلامية، فنجد أن الدعوة إلى الأيمان مقترنة بالدعوة إلى العلم والدعوة إلى العبادة مقترنة بالدعوة إلى العمل. والدعوة إلى الفكر والتأمل مقترنة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان والدعوة إلى الغاية مقترنة بالنظر إلى الوسيلة، فعنصر التوازن في الاسلام أصيل لأن تعاليمه تقوم على أساس التوازن بين القيم المادية والروحية .[1]

وأما الوحدة : فإن عقيدة التوحيد التي هي الدعامة الأولى للثقافة الاسلامية تتلخص في وحدانية الله خالق الكون وواهب الحياة، وعليها نشأت وحدة الخلق أي الوحدة الحية بين المادة والروح، ووحدة العلم والايمان والوحدة الانسانية فلا تفرقها الأجناس والألوان

---

(١) أنظر الإعلام والعلاقات الانسانية ص ٣٤١ – ٣٤٣

والأقاليم ﴿ ياأيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء ... ﴾[1] وكذلك الوحدة في الفطرة الانسانية والغرائز .

فالاسلام يعد الأجيال في جميع الأمم رغم تباعد الزمان والمكان أمةً واحدة، سواء في معارضتها لرسالات السما أو في الاستجابة لها. لأن النفس البشرية واحدة في الماضي والحاضر، والانسان ابن الانسان – كما يقال – يقول تعالى : ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾[2].

فتعاليم الاسلام تدعو إلى توفير المبادىء الانسانية في مجالات العلاقات البشرية على الصعيد الفردي والاجتماعي والدولي، وتحذر من مغبة التعصب الديني أو القومي أو العرقي، حتى تكون الأهداف الانسانية هي الغاية التي يتطلع اليها الانسان ويسعى نحوها ..

ولعل من أهم مأساة الانسان النفسية شعوره القاسي بتمزقة وتشتته، وبأنه ليس شخصية واحدة تتجه نحو هدف معين وبأنه أنفس عديدة لا نفس واحدة وبأنه بعيد عن مصيره غير متوحدّ معه .

وهذا الاحساس أو الشعور يؤدي بالضرورة إلى مجموعة من الأحاسيس والأفكار السلبية، كالعبث والضياع وأزدواج الشخصية .[3]

---

(١) سورة النساء – الآية/ ١ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان / ٥١، ٥٢

(٣) أنظر عماد الدين خليل. النقد الاسلامي المعاصر. طبعة/ بيروت ١٩٧٢م ص – ١٧٢ .

وأما الحركة : فهي الدوران الدائم الذي تدور عليه المعارف والعلوم كلها بصورة تجعل حركة كل واحد منها مرتبط بحركة الجميع، بحيث لو توقف واحد منها وقفت الحركة الدائرة أجمعها. والدافع لهذه الحركة العلمية هو المبدأ الايماني الذي به طلبت العلوم واليه تتجه نتائجها .

فإذا لاحظنا هذه الأركان التي عليها يقوم المنهج الثقافي الاسلامي، ولاحظنا حركة هذه الثقافة واثرائها حين ظهر فيها تيار جديد يلبس ثياباً زاهية من الثقافة اليونانية والفارسية، وأصبح ذلك التيار الجديد يفرض نفسه على الفكر الاسلامي فرضاً بحكم التجديد، وبما أولاه الخلفاء العباسيون من تأييد، دون أن يمس معالم الثقافة الاسلامية وجوهرها بأية شائبة أو ينحرف بها على غير منهجها الأصلي .

الانحراف عن منهج الثقافة الاسلامية :

والعكس نتحسسه حين أدخلت الثقافة الأوروبية – وخاصة في العلوم العصرية – على الثقافة الاسلامية عناصر غريبة عنها غير منسجمة مع أصولها، لا من حيث العلوم والمعلومات، ولكن من حيث الروح والاتجاه والهدف، بحيث أصبحت عناصر الثقافة الاسلامية متباعدة متضاربة بين علوم دينية وعلوم طبيعية وانسانية، سميت بالعلوم العصرية حتى كان الدين ينكر العصر والعصر يلهو عن الدين خلافا للوضع التكاملي الائتلافي الذي كانت عليه من قبل، كما يقتضيه منهج الثقافة الاسلامية .

[فبهذا توزعت الشخصية الاسلامية بين ثقافتين لا تلتقيان، ثقافة الاسلام وثقافة الوثنيين والكفار، ولم تعد تجد طريقها واضحا في الاختيار بين هذه أو تلك ... المعارف الدينية لا تتعارض مع المعارف العصرية، إنما التعارض بين وثنية وانحلال الغرب وبين وحدانية والتزام الاسلام .

بمعنى أن الاسلام لايعارض البحث والتجارب والنتائج العملية اليقينية التي تنتهي اليها العلوم الطبيعية والرياضية .

ولكن الاسلام يعارض استخدام هذه العلوم في التضليل والالحاد، كما يعارض في استبدال شريعة الاسلام بشريعة الوثنيين والمنحلين].

وعليه فإن قيام المنهج الاسلامي على أساس الروح والحركة هو الكفيل بأن يعيد للعلوم منزلتها من نفوس المسلمين وأن يمكن لهم بسببها مالم يزالوا يتحرقون شوقا إليه من عزة وسؤدد وتقدم في العلوم التقنية، إذا أصبحت العقيدة الاسلامية بشمولها هي الدافع الى طلب العلم والجامع لعناصر المعرفة والممكن لتلك العناصر عن التواصل والتلاقي[1].

وهنا يبرز دور الصحافة الاسلامية في حفظ كيان هذه الأمة من التشتت والتمزق، والتعمق في دراسة هذه المسألة واعطائها الأهمية الكبيرة علّها تحول دون الخطر الداهم المتمثل في تكوين شباب مسلم لا يمت الى روح الاسلام وعلومه بسبب .

---

(١) انظر - محمد الفاضل ابن عاشور. مجلة جوهر الاسلام - العدد/ ١ - ١٩٠٨

مايجب على الصحافة الإسلامية :

لقد رصد الله تعالى تجارب الأجيال كلها من لدن أدم حتى الرسالة الخاتمة لأنه وحده الأعلم بالنفس بما يصلحها ويفسدها، كما أنه هو وحده الأعلم بالنظم الاجتماعية، والأخبر بما يصلحها ويفسدها، لأن علمه محيط بدقائق هذه الأمور وعناصرها واسرارها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، هذا الاله العليم الخبير المحيط هو وحده الذي يجب أن تسلم البشرية بالنتائج والقوانين التي رتبها على تجارب الأجيال وصاغ منها القانون النهائي لصلاح الحياة الاجتماعية وسعادة النفس الانسانية، ولذلك جاء في القرآن ماهو مفيد وطوى كل ما لايفيد .

وقد قام الرسول ﷺ الخاتم بالاحتكاك بجيل الرسالة فصدر عنه من التصرفات مابه تتم قواعد الفكر والسلوك وتكتمل قواعد التشريع الثقافي فتحدد منهج الثقافة الاسلامية وميدان عملها والوسائل التي تخدمها والمنهج الذي نهجه الاسلام من خلال القرآن والسنة. يوضح مفهوم الثقافة الاسلامية بأنها بيان الحق والباطل من الفكر والسلوك حتى يستفيد العقل الانساني فيختار الخيِّر من الفكر والسلوك .

والثقافة الاسلامية تبين طريق الهدى من الضلال على كل المستويات وفي جميع الأماكن والبلاد والبيئات، وهذا البيان يقوم بمهمة الاقناع من غير ضغط ولا اكراه فهي تخاطب العقل الحر

الراشد أو تحرر العقل وترشده فلا تستعمل أساليب الزيف والخداع والتضليل[1]

وهذا يعني أن كل مايفيد الانسان من الترقي والتطور والكمال في السلوك والأفكار والسعادة الدائمة فهو ثقافة اسلامية يجب أن تنهض وتقوم بها الصحافة وجميع وسائل الأعلام والتأثير، فهي تستطيع أن ترد مباشرة على الضلال بأسلوب أو بآخر، خاصة إذا ماكانت على صلة يومية أو أسبوعية مع الأحداث، فتبين الضلالة في مهدها، وترد الانحراف وتعري المنحرفين وتنازل أصحاب الضلال مقارعة، وتبذل جهدها من أجل تثقيف وتعليم وتربية المسلمين واعطاء كل مسلم ثقافة اسلامية كاملة وتربية اسلامية صحيحة، وبعبارة أخرى عليها واجب تعليم الاسلام كله – بعقائده وعباداته ومناهجه – وايصال الثقافة الاسلامية متكاملة، لأن أي نقص فيها يعرض الانسان لخطر الوقوع في وبال الضلال والضالين ويبعده عن الحق والحقيقة وعن صراط الله المستقيم .

كما عليها توضيح وبيان القواعد والأسس الضابطة للحركات الثقافية التي تحكم المجتمعات الاسلامية، ولاتجرفها إلى حيث الانسلاخ والمسخ والضياع. وذلك باتخاذ أسلوب يؤدي إلى الاقتناع بضرورة معرفة ما يتيحه الاسلام ومالا يتيحه لحركة الانسان داخل نفسه وأسرته، وفي مجتمعه وفي العالم، حتى لايضل عندما تنفتح أمامه آفاق جديدة حيث تبدو له روعة الحياة وجمالها الآخاذ من تجارب الانسان الأوروبي وخياله وتعبيره الذاتي .

(١) أنظر الدكتور عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام صـ ٢٥٨

فتحديد معالم المجتمع المسلم ووضع ضوابط لحركيته في مجال الثقافة العامة على ضوء الكتاب والسنة بما ينقذ مجتمعاتنا في هذه الفترة التي لم يشهد تأريخنا الاسلامي لها مثيلاً من الانحلال الخلقي والتفسخ الاجتماعي .

استطراد : يقرر المؤلف – وبوافر من الثقة – أن دور الصحافة الاسلامية في هذا المجال كبير وعظيم، وبالذات على الساحة العربية الاسلامية وذلك بما تقدمه لشعوبها من غذاء فكري جيد، وتوجيه ديني سليم وتربية أخلاقية هادفة ودراسات متعمقة في مختلف فروع المعرفة والارشاد والدعوة الى الله سبحانه وتعالى... ومن هنا فلا بد لها وهي تسعي إلى تحقيق أهدافها من مراعاة بعض الواجبات الهامة :

فيجب أن تزود الناس بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة وإن أثرت عليهم بطريقة ما لاستهوائهم فلا تبتعد عن الصدق بدعوى أن الغاية تبرر الوسيلة .

ـــ وأن تهتم بماهية الموضوع الذي تتناوله أو تدعو اليه، من حيث الأهمية والمحتوى والغاية ومدى اهتمام الجمهور وافادتهم منه .

ـــ النشاط الصحفي بوجه عام، لا يكون محدود المدى كماً وكيفاً بل لابد من أن يكون شاملاً من حيث التنويع في المواضيع الدينية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتأريخية والاخلاقية .

ـــ ولعل من أهم الواجبات المنوطة بالصحافة الاسلامية أيضاً تحليل عامل الكراهية الأوروبية والأمريكية (الصليبية واليهودية)

المتأصلة للعرب والمسلمين على السواء، ومواجهة الأباطيل والأكاذيب التي نشرت وتنشر عن العرب والمسلمين .

وبهذا يصبح هدف الصحافة اسهاماً عملياً في الحفاظ على عقيدة الأمة وشخصيتها وكيانها ودعم قيمها الاساسية وبناء الحضارة ونشر الثقافة وتحقيق التعاون النزيه وإنارة الرأي العام .[1]

٩ ــ دور الصحافة في التغيير الاجتماعي :

من المعلوم أن الوظيفة الهامة لوسائل الاعلام بعامة والصحافة بخاصة هي أنها عامل من عوامل التغيير – كما سبق وأوضح المؤلف عند التمهيد للفصل – فهي تستطيع القيام بدور التعريف والاقناع وكذلك حثّ الناس على التغيير وعندما يعرف الناس ويقتنعون فإنهم يدركون ويهتمون بما يعرفوه، وسيأتي الحافز عندما يعرفون أن التغيير من أجل الأفضل ثم تأتي في آخر الأمر الخطوات التي يتم اتباعها للتطبيق والتكيّف مع التغيير .

صحيح أن المعرفة الثقافية ومبادىء العقيدة الاسلامية يتم توفيرها في التعليم التقليدي، ولكن يبقى دور الصحافة مهماً، إذ هي تقوم بتوضيح كيفية تطبيق هذه المعرفة في الحياة اليومية .

إن طبقات المجتمع مختلفة فهي تحتاج إلى مضامين ومستويات مختلفة من المعلومات، فالأطفال الصغار في حاجة إلى تعليم مبادىء الاسلام وتطبيقاتها، والبالغون في حاجة إلى تذكيرهم بواجباتهم تجاه أنفسهم، والأميون وصغار المتعلمين من سكان الريف في حاجة

---

(١) أنظر الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٣٦٤ .

إلى تعريفهم بالاتجاهات المطلوبة لمواءمة التغيرات الحديثة في ضوء الاسلام ... وبايجاز على الصحافة واجب توضيح أي نوع من التغيير نحن في حاجة اليه، وكيف يمكن التكّيف مع هذا التغيير؟ وكذا فوائد هذا التغيير .

ويساعد الصحافة في هذا التغيير بالنسبة لغير المتعلمين، الآباء والمعلمون .

خـــــلاصــة :

نخلص من العرض السابق أن ايجاد وعي واهتمام بالحاجة إلى التغيير نحو المثل الاسلامي الأعلى يعتبر في طليعة الواجبات المنوطة بالصحافة ثم تعريف الجماهير بنوعية التغيير الذي تحتاجه، وطريقة تحقيقه وفوائدة، وكذلك الطريقة التي يمكن بها أن يتكيف الناس مع التغيير ... إضافة إلى قيامها بتبيان الأمور والقضايا الخاطئة في المجتمع، والتي لايرضى عنها الله. نعم أن العملية لاتتم بسهولة، لأن الناس دائماً في حاجة إلى كثير من الاقناع والمعلومات حتى يمكن ايقاظهم وحفزهم، فلا بد إذاً من توفير مقدار مستمر من الترويج لمعلومات مستمرة من حيث الكم والكيف، دون أن تحدث بلبلة بين المجموعة المستهدفة. وتكثر من التوجيه والحث على السير نحو المثل الاسلامي الأعلى لتقي المجتمع من خطر التأثير بالاشتراكية أو الشيوعية الذي تواجهه أجيال الحاضر والمستقبل اليوم، متوهمة نجاحهما في البلاد التي يسودها المسلمون[1]

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٣٨٢ - ٣٨٤

ومما لاشك فيه أن طابع الصحافة الاسلامية يختلف في دوره عن غيره في باقي المجتمعات الأخرى. حيث أنها (الصحافة) لاتخاطب الفرد وحده بل هي تحرص كذلك على تقويم نظم المجتمع وتهديها صراطه المستقيم، فتزداد الروابط بين الفرد ومجتمعه وثوقاً وقوة، وتنير الطريق الى مزيد من الاقتناع والايمان، تناقش أوجه الخطأ رغبة في الوصول إلى الصواب، لابمجرد الحوار بل بمواصلة ومتابعة البحث الجاد والتطبيق الصحيح في دعوة شريفة لتقويم ما أعوج من نظم إو اصلاح ماتفشى من فساد .

ويمكن مناقشة وتفصيل ذلك على النحو التالي :

أولاً : قضية الأسرة والعلاقات الاجتماعية في ضوء العقيدة :

قضية الأسرة والعلاقات بين الجنسين من أهم القضايا الاجتماعية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي .

لقد تأكد دور الأسرة في تنشئة الفرد وتكوين أخلاقه، وتوجيه قواه، كما تأكد أثر هذا التوجيه وذلك التكوين وتلك التنشئة في بناء المجتمع، تماسكاً أو انحلالاً، نهضة وارتقاء أو تراجعاً وانحطاطاً، لكونها ملتقى الفرد والمجتمع، وحلقة الاتصال بين السياسة والاجتماع وسوق التعامل الاقتصادي، ومركز تصدير العدة والعتاد من الأجيال البشرية، ومرآة الحقيقة الكاشفة لكل زيف، وصورة الواقع الاجتماعي بلا رتوش .

لهذا نرى اهتماماً كبيراً في كثير من الأمم والشعوب يهدف الى محاولة فهم طبيعة الأسرة وحل مشاكلها، واذا كان هذا الاهتمام

يستغرق من جهد ووقت ومال هذه الأمم الكثير، فلا شك أن الأسرة الأشبه بالحق والأقرب اليه هي التي تكون كاملة الروابط، خالية من الشوائب والأكدار، توفر السعادة لكل من ينضوي تحت لوائها، وتوفر للمجتمع أسباب تماسكه ونهضته .[1]

لذا فالأسرة دور هام وفعال في تنشئة أبنائها التنشئة الصالحة .

ولقد قرأنا للدعاة إلى الله الكثير بشأن الأسرة والحفاظ عليها، والعمل على تربية الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم ليصير في النهاية الفرد قرآنيا والأسرة اسلامية والمجتمع مثاليا بتمسكه بالاسلام .

إن المجتمعات التي تسود فيها القيم والأخلاق والنزعات الحيوانية في هذه العلاقة لايمكن بحال من الأحوال أن تكون اسلامية، حيث أن هذه المجتمعات لاتعتبر العلاقات الجنسية غير الشرعية ولا حتى العلاقات الجنسية الشاذة رذيلة اخلاقية .

وإذا وجدنا الجنس والدعارة والانحلال والصراع والمخدرات وأمراضها وصناعة الأدوية ووسائل الأمن والحماية وغيره يستنفد معظم الطاقات ويبددها أو يهددها في محيط الضياع والهلاك، ووجدنا أيضاً الكبت والظلم والحجر الفكري والضغط العقائدي، والكفر والالحاد ونبذ القيم والمثل، مع انعدام الطموح وتبدد الآمال .[2]

إذا وجدنا كل هذا وذاك فلا يمكن أن يكون هذا المجتمع

---

(١) الدكتور عمارة نجيب.الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة. الطبعة الأولى. الرياض ص ٧ .

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٢٦٦

مجتمعاً اسلامياً وإنما هو مجتمع جاهلي، انحسرت المفاهيم الانسانية والأخلاقية فيه تماماً .

والكتاب والصحفيون والروائيون في المجتمعات الجاهلية هنا وهناك يقولونها صريحة للفتيات والزوجات إن الاتصالات الحرة ليست رذائل إخلاقية.. الرذيلة الاخلاقية أن يخدع الفتى رفيقته أو تخدع الفتاة رفيقها ولا تخلص له الود، بل الرذيلة أن تحافظ الزوجة على عفتها إذا كانت شهوة الحب لزوجها قد خمدت. والفضيلة أن تبحث لها عن صديق تعطيه جسدها بأمانة.. عشرات من القصص هذا محورها ومئات التوجيهات الاخبارية والرسوم الكاريكاتيرية والنكت والفكاهات هذه ايحاءاتها .[1]

بل قد يصل الأمر إلى حد السخرية من الاسلام ونظامه ... وشتان ما بين المجتمعين مجتمع رباني قرآني يسعى لتنشئة أبنائه التنشئة السليمة الصحيحة التي تهديه الى السعادتين، سعادة الدنيا والآخرة .. ومجتمع انحلالي لا أخلاقي يسوده الجنس وتستولي عليه المادية، وأصحابه كما حدثنا القرآن الكريم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[2]

---

(١) راجع سعيد حوى. الاسلام ص ٥٢

(٢) سورة الأعراف - الآية / ١٧٩

لا بـدّ مـن المواجهـة :

هناك جهود مبذولة لتنصير قوانين الأسرة الاسلامية، وهناك حيل كثيرة أتخذت لجعل الملسمين يقبلون قانوناً جديداً للأحوال الشخصية، يبدأ بسلب الرجل حق الطلاق، ويشجب مبدأ تعدد الزوجات، وينتهي بالغاء التفرقة بين الذكر والأنثى في الميراث، وينظم حملات دعائية رهيبة ضد زيادة النسل، بل يقترح حرمان الولد الثالث من حق التعليم والتموين والتمريض ... الخ .

من الملاحظ اليوم أن تحديد النسل يشجع على أوسع نطاق بين المسلمين وحدهم. وإن أتباع الأديان الأخرى لديهم تعليمات مشددة بتكثير النسل، بل لدى الشيوعيين هذه التعليمات، ... لقد استطاع أعداء الأسلام صناعة المسرحيات التي تسخر من الزواج ومن التعدد ومن الطلاق وغير ذلك من المثل الانسانية التي يراد غمزها بمثل هذه الأعمال .[1]

وإذا كان الكائدون لديننا يستغلون الإعلام بصورة عامة والصحافة بصورة خاصة لترويج سخافاتهم، أفلا نستطيع نحن أن نستغل إعلامنا وصحافتنا لدعم فضائل العفة والطهارة والاستقامة التي ينشدها الإسلام للأسرة خاصة وللعلاقة العامة بين الذكر والأنثى .

إن الاسلام بسلوكياته وأخلاقياته علّمنا الكثير وأنار لنا الطريق من أجل مجتمع فاضل، وحينما نقرأ الكثير من آيات القرآن، في سورة الأحزاب وغيرها نجد القرآن يقول ﴿ وقرن في بيوتكن

(١) أنظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية ص ٢٨٥

ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾[1] ويقول : ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ [2]

ومن صفات الرسول ﷺ – أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها. وغير ذلك الكثير والكثير مما تعلمناه من ديننا في هذا المجال، ولكن مجتمعاتنا المعاصرة – السائدة حالياً – التي تعيش جاهلية جهلاء انحرفت عن دين ربها واتبعت أهواء شياطينها ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[3]

لقد هزم حظر الطلاق في ايطاليا مقر البابوية بعد استفتاء عام وبعد تظاهرات عنيفة سارت فيها ملايين من الجنسين، وهزم هذا الحظر باقصاء القوانين الكنسية في أغلب البلاد النصرانية .

أما تستطيع الصحافة الاسلامية أن توضح وتشرح عملياً قوله تعالى ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً ﴾[4].... وتسوق القصص الحق لا الروايات المختلقة لاقرار مبدأ الطلاق وجعله في يد الرجل، وفضح من يسيء استعمال هذا الحق؟ ... فهلا ينتقع بوسائل الإعلام الكثيرة وفي مقدمتها الصحافة في ترشيد ذلك وتهذيبه نحو الاتجاه الصحيح .

والإسلام حرم الزنى تحريماً صارماً وأباح تعدد الزوجات «إن ضمنت العدالة» .. يقول الله تعالى : ﴿ فأنكحوا ماطاب لكم من

---

(١) سورة الأحزاب الآية / ٣٣
(٢) سورة الأحزاب الآية / ٣٢
(٣) سورة ق الآية / ١٨
(٤) سورة النساء الآية / ١٣٠

النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾[1]

ونتساءل هنا هل أوروبا التي حرمت التعدد، حظرت الزنى أم جعلته كلاماً مباحاً ؟

ألم تنتشر هناك الخلائل لتحل مكان الحلائل ؟ ألم يتاح للرجل أن يطيح بعفاف العشرات في سر أو علن ؟

ألم يتحول الرقص المزدوج إلى تقليد رسمي قائم يرى فيه الرجال زوجاتهم في أحضان الآخرين ؟ ترى أهذا العناق فرصة لذكر الله وإصلاح ذات البين ؟[2]

إن للصحافة دوراً كبيراً في هذا فهي قادرة على شرح أحكام الأسرة وتقدر على إحباط الهجوم الجاهلي المستهين بحدود الله . كما تستطيع الصحافة عن طريق الصفحات المخصصة للمرأة في الصحف والمجلات والنشرات أن تغرس فضائل كثيرة وأن تمحو أسباباً للرذائل أكثر، وتزود الفتيات والأمهات بنصائح تعين على إنشاء جيل قوي محترم ومنتج، وأن تنشىء مجلات خاصة بالطفل كمجلة « الطفل الصغير » بمجلة الدعوة المصرية .

ثانياً : حاجة الحركة الإسلامية إلى الصحافة :

تعتبر الحركة الإسلامية نظاماً عالمياً مفتوحاً ومتغلغلاً، يعمل من خلاله الأفراد المسلمون أو الجماعات الاسلامية المنظمة عن وعي

---

(١) سورة النساء الآية / ٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٦

من أجل إعادة تدعيم الأمة وجعلها جهازاً سلوكياً وعملياً ينشد هدفاً، فهي نظام راسخ وقوي إلى أبعد حد بحيث لايمكن القضاء عليها مهما حاول أعداء الإسلام والمسلمين. ومهما ملكوا من أسلحة ضاربة وقاتلة فلا يستطيعوا تحطيمها بضربة واحدة ولابعدة ضربات، فالله حافظ دينه، لأنه لابدّ وأن يكتب البقاء لجزء من هذا العالم. فسيظل على أرض هذا الجزء من يمثلون الحركة الإسلامية .

والحركة الإسلامية باعتبارها نظاماً سلوكياً، فهي وكل الأنظمة المنبثقة عنها لها حقيقة واحدة مشتركة، وهي كونها لاتعمل لأغراض ذاتية أو خاصة، وذلك لأن النظم الإسلامية ليس لها دوافع أنانية للبقاء والامتداد والسيطرة والنماء، ولا هي بسبيل ارضاء الغايات الشخصية لمجموعة أشخاص لها أهداف اقتصادية أو سياسية، أو باعتبارها طائفة متميزة .

كانت ولازالت الحركة الاسلامية نظاماً سلوكياً يتخذ من الاسلام المثل المحتذى والدين المرتضى. ولكن عمليات إتخاذ القرارات أصبحت اليوم من عدم الانضباط لدرجة تعارض القرارات وتناقضها[1].

ومع بداية سقوط الأندلس ضعف هيكل الحركة الاسلامية فبدأت عدوى المدنية أو الحضارة الغربية. وفلسفته الاشتراكية القومية وأفكار الشيوعية والرأسمالية الوطنية تؤثر في انماط السلوك للحركة الاسلامية وماينبثق عنها من نظم.

---

(١) أنظر نفس المصدر السابق ص ١٣٦ــ١٣٨

وهناك حقيقة أخرى تنفرد بها الحركة الاسلامية إلى جانب كونها نظاماً سلوكياً. ذلك أن معايرها محددة بوضوح في القرآن الكريم. وأسلوب تطبيقها مشهود في سنة الرسول ﷺ ، وعلى امتداد التاريخ نرى أن الكثير من الحركات قد استحدثت الهامها من التأسي بالأنبياء في أخلاقهم المدنية ... وتناضل هذه الحركات اليوم لتطبيق هذه الشرائع المدنية على المواقف المعاصرة، ومن هذه الحركات «جماعة الأخوان المسلمين» في مصر، والجماعة الاسلامية في باكستان وغيرهما من حركات الدعوة الاسلامية والجهاد في العالم العربي الإسلامي.

إن ما تحتاج اليه الحركة الاسلامية اليوم مصادر لنشر المعلومات والأخبار وطلبها وتوزيعها وتوفير وسائلها المختلفة والاستفادة منها واستغلالها .

لعل من العقبات التي تحول دون تحقيق أهداف الحركة الاسلامية أو العمل الاسلامي. هي (النقص العام في التوجيه). مما يؤدى إلى عدم التكامل أو نقص المعلومات في الجهود التي يتسبب عنها في أغلب الأوقات ضياع المصادر البشرية والمادية والروحية للحركة الاسلامية .

وإن السر في ضعف وفاعلية الحركة الاسلامية اليوم. هو أن أفضل وأكبر المواد التي نملكها تستغل ضدنا .

فنجد مثلا المؤرخ الغربي في نظرته للتأريخ الحديث أو المعاصر. وبمقتضى حاجاته الحضارية قد يقنع نفسه ويقنع الكثير من المسلمين بأن الدين – سواء كان دينه – أو الأسلام بالذات لم يعد يشكل

أساسا كافيا لمدنية حديثة، بينما تعتبر حقيقة لاتنكر في سجل التاريخ أن الاسلام ظل القوة الحضارية السائدة لمدة ألف عام قبل أن يبدأ في التدهور بسقوط الأندلس .

ولايوجد سجل حضاري آخر يمكن مقارنته بالحضارة الإسلامية .

وفي هذا الطور من الأزمة الحضارية نستطيع القول بأن مصدر العلل كافتها في جسم الحركة الإسلامية، هي تلك البيئة التي تسيطر على مصادر الإعلام – وأهمها الصحافة – من خارج الحركة الإسلامية .

لقد نجحت هذه المصادر في تحويل الولاء العلمي للمسلمين بعيدا عن الاسلام، وقد استطاع الغرب أن يصل بهذه النتيجة من خلال تشويه النماذج الطيبة والانحراف بولاءات وآمال المسلمين. وبواسطة خطة اعلامية محكمة وبارعة التنفيذ. لتنيمة التقاليد الاستشراقية في الدراسة في إطار المعرفة الصناعية الغربية .

وبهذا البرنامج الهادف إلى تمييع ارتباط المسلمين بالعقيدة الاسلامية تمكن الغرب من استغلال كميات ضخمة من الموارد المادية والعقلية .

وأثمر عائد هذا الاستغلال، خلق طبقة من المسلمين، يدينون للنظم الغربية في ولائهم ويسيطرون على النظم الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعاتهم. ويشرفون أيضا على بعض أجزاء الحركة الإسلامية .

واستطاع الاستعمار الأوروبي أن يزيح سلطة المسلمين

السياسية ويحطم النظم التعليمية المسلمة. وخاصة في المناصب العليا في مجال التعليم والأبحاث [1]

إن الحركة الاسلامية العالمية في أمس الحاجة إلى عقلية اسلامية جديدة في مجال الفكر والخطط العلمية والصحافية ملزمة لها. صحافة اسلامية ذات خطط قويمة ومبادىء سليمة تقف في وجه الاعلام والصحافة المضادة، صحافة ينهض بها فريق من أبناء هذا الدين لمواجهة كل هذه التيارات الفكرية الوافدة. والقيم المرافقة لها. فتكشف عن فسادها وأغراضها، صحافة لايمكن تحديها أو التغلب عليها، ملهمة للعقول الاسلامية .

---

(١) أنظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الانسانية. ص ١٣٨ – ١٤٣